مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
King Faisal Center for Research and Islamic Studies

متابعات إفريقية

العدد (٣٩) ذو الحجة ١٤٤٥هـ - يونيو ٢٠٢٤م

تحرير: الدكتور محمد السبيطلي

د. جمال الدين محمد
د. جيهان عبد السلام عباس
أمل مختار
د. هارون باه
أ. د. كمال محمد جاه الله الخضر
عبد القادر كاوير
د. شيرين جابر
د. إيمان عبدالعظيم

متابعات إفريقية

العدد (٣٩)

المحتويات

متابعات إفريقية

سلسلة أوراق متخصصة يضمها تقرير شهري يصدر عن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض. تناقش السلسلة الملفات والقضايا السياسية والاقتصادية والأمنية المختلفة التي تهم سُكّان القارة الإفريقية وانعكاساتها الإقليمية والدولية من خلال مقاربات متعددة التخصصات وزوايا النظر.

للتواصل: afrstudies@kfcris.com

الدراسات: ٩

١- **مراكز التجارة الصحراوية في شمالي النيجر وأثرها التاريخي في التفاعل الحضاري والعلمي بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي**

د. جمال الدين محمد، أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية، نيامي..... ١٠

٢- **آفاق تطور العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية: واقع الاستثمار والفرص المستقبلية**

د. جيهان عبد السلام عباس، أستاذ الاقتصاد المساعد بكلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، القاهرة. ٢٤

التقارير:..... ٤٩

١- **داعش في الصومال: بين المواجهة الأمنية والمنافسة التنظيمية**

أمل مختار، باحثة متخصصة في شؤون التطرف والإرهاب، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة. ٥٠

٢- **القيادة السنغالية الجديدة: عوامل النجاح وعقبات الحكم**

د. هارون باه، باحث في الشؤون الإفريقية، زيغنشور. ٥٩

٣- **المصالح الإيرانية في النيجر في مرحلة ما بعد انقلاب يوليو ٢٠٢٣ العسكري**

أ. د. كمال محمد جاه الله الخضر، أكاديمي سوداني، القاهرة. ٦٧

٤- **انتقال السلطة في أوغندا: فرص خلافة الجنرال/ مهوزي كاينروغابا لوالده في الحكم**

عبد القادر كاوير، باحث في الشؤون الإفريقية، نيروبي. ٧٤

٥- **أمن البحر الأحمر في ظل الديناميات الإقليمية والاستجابات الدولية**

د. شيرين جابر، باحث أول مركز الدراسات الاستراتيجية بمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية. ٨٣

عروض الكتب: ٩٤

١- **قراءة في كتاب: الدين والسياسة في إفريقيا**

د. إيمان عبدالعظيم، مدرس العلوم السياسية بكلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، القاهرة. ٩٦

هيفاء المطوع

تحرير

د. طارق باكير

مراجع لغوي

إخلاء مسؤولية

تعكس هذه المقالات ومحتوياتها تحليلات الكاتب وآراءه، ولا ينبغي أن تُنسب وجهات النظر والآراء الواردة فيها إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، والكاتب وحده هو المسؤول عما يرد فيها من استنتاجات أو إحصاءات أو أخطاء.

رقم الإيداع بمكتبة الملك فهد الوطنية:

١٤٤٤/١٠٩

ردمد: ١٦٥٨-٩٤٢٤

كلمة المحرر

في سياق الأحداث التي تشهدها منطقة الشرق الأوسط، يعود الاهتمام الكبير بالتطورات التي تحدث في البحر الأحمر، ومضيق باب المندب، وبحر العرب. ويعود من جديد تركيز الأضواء على تداعيات تلكم الأحداث عن أمن الإقليم برمته، وخاصة القرن الإفريقي، ومنطقة شرقي إفريقيا بصفة عامة. بل قد يصبح ذلك مدخلًا لفهم وقراءة حاضر ومستقبل كلّ الأقطار الإفريقية، المرتبطة من قريب أو بعيد بما يحدث في البحر الأحمر، وعلى سواحل شرقي إفريقيا عمومًا.

ومهما يكن من أمر، فما يحدث في البحر الأحمر من حشد دولي، لحماية الملاحة الدولية، وما يجري بالتزامن مع ذلك، من عودة بعض القوى الدولية، للبحث عن موطئ قدم لها في الإقليم، لا يخفي ما يمكن أن يكون من تقارب بين فواعل غير نظامية، حاملة للسلاح، قد يؤثّر، على المدى المنظور، في أمن واستقرار القرن الإفريقي، والدول الإفريقية الأخرى، المجاورة غربًا لهذا الإقليم.

وفي هذا السياق، تتنزل الأوراق التي تضمّنها هذا العدد (٣٩)، والتي تتناول أمن البحر الأحمر، وسواحله الإفريقية، ونشاط بعض المجموعات الإرهابية، وتعاونها مع بعضها، سواء أكانت في اليمن أو الصومال...

القارة الإفريقية لا تعيش أزمات أمنية فقط، بل تشهد أيضًا انعدام استقرار سياسي؛ إلَّا أنَّ تعامل النخب الحاكمة يختلف من دولة إلى أخرى؛ ففي السنغال، تم تجاوز عقبة الانتقال من عهد إلى آخر، عبر ما أقرَّته صناديق الاقتراع، في حين قد تتَّجه أنغولا إلى سبل أخرى، لاستمرار النظام، وذلك بانتقال السلطة بطريقة أو أخرى، من الأب إلى الابن، حتى لو كان ذلك عبر الانتخابات.

وثمة أمر مشابه حدث في تشاد، وتسعى بعض الدول، التي اختارت تسوية أزماتها بالانقلابات العسكرية إلى الاستفادة من التدافع الدولي في إفريقيا، بمحاولة استقطاب الدعم السياسي والاقتصادي والعسكري، من الدول الآسيوية الكبرى، سواء منها الصين أو روسيا... أو غيرهما من الأطراف الآسيوية، التي تبحث عن القيام بدور – حتى لو كان ثانويًّا – في إفريقيا، وخاصة في البلدان التي تعمل على التخفُّف من عبء الدول الأوروبية الاستعمارية التقليدية.

تتَّجه العديد من البلدان العربية إلى تجاوز العلاقات التاريخية، التي تربطها بإفريقيا، نحو علاقات اقتصادية وسياسية، تقوم على خدمة المصالح المشتركة، في ضوء التطورات التقنية، والتجارية العالمية، والتنافس الدولي المحتدم، للاستفادة من ثروات القارة السمراء، وفي هذا السياق، جاءت دراسة «آفاق تطور العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية: واقع الاستثمار والفرص المستقبلية».

كما يحتوي العدد على أوراق مهمّة أخرى، ذات مضامين ثقافية وتاريخية، تهتمّ بالتفاعل بين إفريقيا والعالم العربي.

دراسات

مراكز التجارة الصحراوية في شمالي النيجر وأثرها التاريخي في التفاعل الحضاري والعلمي بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي

د. جمال الدين محمد، أستاذ مساعد في كلية اللغة العربية والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية، نيامي.

كانت مراكز التجارة الصحراوية، التي نشأت شمالي النيجر في أراضي: «كوار»، و«تكدَّا»، و«أغاديس»، كانت في أيام ازدهارها التجاري والثقافي من أهم الوسائل، التي أسهمت بصورة طبيعية في الاندماج الاقتصادي، والحضاري، والعلمي، بين الشعوب في السودان الغربي والغرب الإسلامي. إلاّ أنّ الملاحظ على تاريخ هذه المراكز المهمّة أنّه ظلّ حتى هذه اللحظة مجالًا بكرًا يصلح للبحث والكتابة بسبب ضياع كثير من مصادره، التي تلف بعضها بسبب الإهمال، كما دُمّر وسُرق بعضها الآخر في أثناء الاستعمار الفرنسي للنيجر، الذي بدأ منذ العام ١٨٩٩م إلى العام ١٩١٦م، وتم له إخضاع بلاد النيجر كاملة بحلول العام ١٩٢٢م.

ولقد دفعنا إلى إعداد هذه الدراسة حول مراكز التجارة الصحراوية في النيجر دوافعُ أخرى، وأهمّها، أنّه على خلاف مراكز التجارة الصحراوية، التي ذاع صيتها في الغرب الإسلامي والسودان الغربي، وأنجزت حولها بحوث ودراسات لا حصر لها، مثل: سجلماسة، وتوات، وأوجلة، وتنبكتو، وغيرها، إلَّا أنّ مراكز التجارة الصحراوية التي قامت في شمالي النيجر، وعلى الرغم من أنّها لا تقلّ أهميّة عن تلك المراكز السالفة الذكر، فإنها لم تجد حظًّا كافيًا في الدراسة والبحث، وهذا رغم كثرة ورود ذكر أسمائها في مصادر تاريخ القارة الإفريقية، أمثال: تاريخ الفتاش، ونيل الابتهاج، وتاريخ السودان، وإنفاق الميسور، وغيرها.

وتأتي هذه الدراسة الرائدة حول «مراكز التجارة الصحراوية في النيجر، وأثرها التاريخي في التفاعل الحضاري والعلمي بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي»، بهدف أساس، هو التعريف بهذه المراكز، التي أثَّرت تأثيرًا كبيرًا في تجارة القوافل الصحراوية، بحكم موقعها الجغرافي على حافة الصحراء الكبرى؛ حيث كانت تُعدُّ في الماضي مناطق عبور والتقاء بين الشمال الإفريقي

وغرب القارة الإفريقية، وأنّها سهّلت اندماج الشعوب اقتصاديًّا وحضاريًّا وعلميًّا، من خلال هجراتها وتنقّلاتها عبر الصحراء الكبرى.

وعليه، فقد عُولِج موضوع هذه الدراسة الوصفية التحليلية في توطئة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، خصّصنا المبحث الأول لمركز «كوار KAWAR»، والمبحث الثاني لمركز «تكدّا TIGIDDA» ، والمبحث الثالث لمركز «أغاديس AGADEZ»، وفي الخاتمة أوردنا أهمّ النتائج التي توصّلنا إليها.

المبحث الأول - مركز كاوار في شمالي النيجر

كوار (KAWAR) هو أول إقليم دخله الإسلام في شمالي النيجر، ويطلق على منطقة شاسعة في جنوبي إقليم فزان خلف الواح، وبها مدن كثيرة، منها: قصر أم عيسى، وأبو البلماء، والبلاس، وأكبر مدنها أبو البلماء، وألوان أهلها صفر، يلبسون ثياب الصوف، وفي بلادهم أسواق ومياه جارية، ونخل كثير، ولهم سلطان في طاعة ملك الزغاوة. وأشهر مدن كاوار اليوم: بلما، فاشي، سيغدين، جادو، ديركو، شيمندور.[١]

ويعدُّ ابن سعيد أهمّ من حدَّد بلاد كوار تحديدًا دقيقًا، فيقول: «بلاد كوار، وهم سودان مسلمون، وقاعتهم اسمها كوار (وهي الآن داخلة في طاعة سلطان كانم وموضوعها)، حيث الطول ٤٥ درجة، والعرض ٢٠ درجة (ودقائق)، وفي غربيها على مرحلتين بحيرة كوار المشهورة (طولها ١٢ ميلًا، وعرضها ٣ أميال، وهي حلوة عميقة)، وفيها البوري (يملحونه ويحملونه إلى البلاد)، وفي شرقي كوار على مرحلة، بحيرة الشوك (طولها ٢٠ ميلًا، وعرضها ٤ أميال، وهي حلوة غير عميقة، يظهر فيها الحوت كثير الشوك، وتمدّها عين تأتي من جهة الجنوب من جبل صغير، وكثيرًا ما تقع الفتن بين سكّان كوار، وبربر الصحراء، وعراب فزان، على هاتين البحيرتين؛ إذ لا تزال هذه الفرق تنجع جهاتها. وفي شمال كوار وغربيها من مدنهم المذكورة على الجادة: قصر عيسى، وهو على ٤ مراحل منها، وغربيه على ذلك المشرع: القصية، وهي ذات نخيل، وكلها يوجد في أرضها الشب الذي يحمل إلى البلاد...».[٢]

وأمّا أشهر أراضي كوار فهي واحة بلما (BILMA)، التي جاء وصفها في كتاب النيجر اليوم بأنّها «جزيرة جيدة التحصين وسط أوقيانوس من الرمال»،[٣] وبلما هي المنطقة النيجرية الأولى، التي ذُكِرت ابتداء من القرن الأول الإسلامي، عند فتح إفريقيا من قبل عقبة بن نافع، الذي حرّر فزان وما جاورها من القرى. ففي سنة ست وأربعين، خرج عقبة بن نافع الفهري إلى المغرب، ووقف بعد فتح فزان «فسألهم: هل من ورائكم أحد؟ قالوا: نعم، كوار، وهو قصر عظيم على رأس المفازة، في وعورة على ظهر جبل، وهو قصبة كوار، فسار إليهم خمس عشرة ليلة، فلما انتهى تحصنوا، فحاصرهم شهرًا، فلم يستطع لهم شيئًا، فمضى أمامه إلى قصور كوار فافتتحها...».[٤]

وعليه، فإنّ أول وصول للعرب إلى إقليم كوار، الذي فتح المجال للتفاعل الاقتصادي والحضاري والعلمي بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي، بدأ بصورة حضارية مع حملة عقبة بن نافع سنة ٦٦٦م، ليكون كوار أول طريق مركزي عابر للصحراء عرفه العرب،[٥] تنقّلت عبره الشعوب المسلمة من عرب، وطوارق، وهوسا، وغيرهم، يتبادلون السلع التجارية المختلفة. كما بنوا في الأماكن التي سكنوها المساجد والحصون، ولا تزال آثار بعضها باقية حتى اليوم. وظهر في كوار نشاط علمي، بسبب العلماء والكتب، التي كانت تأتي مع التجار من الغرب الإسلامي، عبر طرق القوافل التي تمرّ بمنطقة كوار وواحة بيلما، وهي كثيرة ومنها:[٦]

- طريق فزان: زويلة، مرزق، تجهري، بلما...
- طريق أوجلة إلى (جاو): زويلة، ودان، كوار، كوكو.
- طريق طرابلس إلى (تشاد): كوار، مرزق، غات، غدامس، طرابلس.
- طريق «أزالاي»: التي تصل بين أغاديس وبلما، ويبلغ طولها ٧٠٠ كم.

وبسبب موقعه على حافة الصحراء الكبرى في الحدود مع ليبيا، كسب مركز كوار مكانة اقتصادية وثقافية، إضافة إلى كونه جزءًا من إمبراطورية كانم برنو، ممَّا سهّل عليه تدفّق البضائع والمؤلفات العلمية، التي تأتي من الغرب الإسلامي، بسبب العلاقات الثقافية والدبلوماسية لإمبراطورية كانم برنو مع طرابلس، ومراكش، والقاهرة، وفاس، وتونس، وغيرها.

ويعدُّ الشاعر أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الكانمي النموذج الحي، الذي جسّد التفاعل الحضاري والعلمي بين كوار والغرب الإسلامي؛ فهو أقدم وأشهر شخصية وشاعر من بلما،[٧] قدم على المغرب قبل الستمائة هجري، وسكن مراكش، وأقرأ بها الآداب،[٨] ودخل الأندلس، وكان شاعرًا محسنًا؛ قرأ المقامات، وتوفي سنة ثمان وستمائة هجرية بمراكش.[٩] وقد ورد ذكر اسم الكانمي عند الكتّاب الكبار، أمثال: ابن حمويه في قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار، وغيرهم.

وذكر محمد ابن شريفة، أنّ الكانمي[١٠] حصل على تقدير كبار نقاد العربية، أمثال: ياقوت الحموي، الذي وصفه بأنه «مشهود له بالإجادة...»،[١١] ووصف ابن حمّويه شعره بقوله: «إنّ الكانمي يعرب عن شعر فصيح، ولفظ صحيح، ووزن مستقيم، ومعنى قويم»، وقال عنه الصفدي: «إنه كان جيد النظم، وكان يحفظ الجمل في النحو»،[١٢] وكان أبو زيد الفازازي يفضله على شعراء عصره.[١٣]

إنّ غلبة الطابع التجاري على كوار؛ المركز الأول للتجارة الصحراوية، الغني بالملح والبلح في شمالي النيجر حينما كانت «بيلما» محط رحال القوافل الكبرى، سواء القادمة من الشمال من ليبيا، أو من الغرب من

آيير، أو من الجنوب من بحيرة تشاد- هي التي فتحت المجال للشعوب الإفريقية والعربية التي تقصد هذه المنطقة، أن تتفاعل حضاريًّا وعلميًّا مع أهالي «بيلما»، و«ديركو» و«فاشي»، و«سيغدين»، و«جادو»، و«شيمندور» وغيرها، حتى توّج هذا التفاعل، الذي تجسّد على أرض الواقع، بظهور ملامح الحضارة الإفريقية العربية واضحة جلية في كوار، وانتشار وسائل الثقافة والعلوم الإسلامية، التي كانت تأتي من الغرب الإسلامي، المتمثلة في الكتب الدينية، واللغوية، والأدبية، وغيرها، المكتوبة باللغة العربية.

المبحث الثاني - مركز تكدَّا في شمالي النيجر

تكدَّا أو مملكة تكدّة، عرّف بها ابن بطوطة في رحلته فقال: «وضبطها بفتح التاء المعلوة، والكاف المعقودة، والدال المهمل مع التشديد»،[١٤] وقال أحمد بابا: « تكدَّة بُليدة عمرها صنهاجة قرب السودان»،[١٥] وتقع اليوم في غرب أغاديس جهة الجنوب، وتعني تكدَّا: الينبوع بلغة الطوارق، ويطلق تكدَّا على إقليم وثلاث وحدات حضارية (قصور)، والإقليم يتعلّق بـ(مملكة ماسوفا)، ويمتدّ في القرن الرابع عشر ميلادي من برورغوث إلى تيجدم تيسم، وأدار بيسنات. أمّا الوحدات الحضارية فهي: أزيلكيك، وان، بيرني، ويقوم السكان الحضريون لمملكة تكدَّا في مجموعات بشرية بربرية، فمن المجموعة البربرية نجد ماسوفا التي تضمّ المجموعات: سداغاعن، ايمسكيكيان، إليساون، تاونتاكت، أتاراواري، كل إغلال، إيتيسان، إغدالن، ومن السودان: أزنا وغوبيراوا.[١٦]

وقد مثّلت تكدَّا طريقًا للقوافل، التي تربط الشمال الإفريقي بجنوب الصحراء، ومن الطرق التي تمرّ بها:[١٧]

- طريق المغرب الأدنى: طريق القيروان إلى تكدَّا، قيروان، بسكرة، ورجلان، تكدَّا، كانو.
- طريق سجلماسة، توات، الهقار، تكدَّا، كوكو، تمبكتو. وهو الطريق الذي سلكه ابن بطوطة عند العودة.
- طريق غدامس، غات، تادمكة، تكدَّا، كوكو، الكانم.

والجدير بالملاحظة، أنّ الرحالة المغربي ابن بطوطة هو أول من أشار في رحلته المشهورة إلى أثر تكدَّا في التفاعل الحضاري والعلمي، بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي، حينما سرد حديثه عن هذا المركز التجاري المهم في شمال النيجر، ونورد هنا أهمّ ما فعله:[١٨]

أولًا- وصف ديار تكدَّا فقال: «وديار تكدَّا مبنية بالحجارة الحمر، وماؤها يجري على معادن النحاس، فيتغيّر لونه وطعمه بذلك، ولا زرع بها إلا يسير من القمح، يأكله التجار والغرباء، ويباع بحساب عشرين مدًّا من أمدادهم بمثقال ذهب... وتباع الذرة عندهم بحساب تسعين مدًّا بمثقال ذهب، وهي كثيرة العقارب، وعقاربها تقتل من كان صبيًّا لم يبلغ، وأمّا الرجال فقلما تقتلهم».[١٩]

ثانيًا- ذكر عمل أهل تكدَّا في التجارة مطلقًا فيقول: «ولا شغل لأهل تكدَّا غير التجارة، يسافرون كل عام إلى

مصر، ويجلبون من كل ما بها من حسان الثياب، وسواها. ولأهلها رفاهية وسعة حال، ويتفاخرون بكثرة العبيد والخدم».[٢٠]

ثالثًا- أشار إلى عمل أهل تكدًا في صناعة النحاس وتجارته بقوله: «ومعدن النحاس بخارج تكدًا، يحفرون عليه الأرض، ويأتون إلى البلد، فيسكبونه في دورهم، ويفعل ذلك عبيدهم وخدمهم، فإذا سكبوه نحاسًا أحمر، صنعوا منه قضبانًا في طول شبر ونصف، بعضها غلاظ... ويحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار، وإلى زغاي، وإلى برنو، وهي على مسيرة أربعين يومًا من تكدًا».[٢١]

رابعًا- ذكر سلطانها وكرمه مع الضيوف: واسمه (إزار) بكسر الهمزة وزاي وألف وراء، وكان يسكن على مسيرة يوم منها، وقد أفاد ابن بطوطة، أنه عندما أراد مقابلته بقوله: «فجاء إلي راكبًا فرسًا دون سرج، ولتلك عادتهم، وقد جعل عوض السرج طنفسة حمراء بديعة، وعليه ملحفة وسراويل وعمامة، كلها زرق، ومعه أولاد أخته، وهم الذين يرثون ملكه... وسأل عن حالي ومقدمي ... وأنزلني ببيت من بيوت النياطين ... وبعث برأس غنم مشوي في السفود، وقعب من حليب البقر... وكان في جوارنا بيت أمه وأخته ... وكانت أمه تبعث لنا الحليب بعد العتمة وهو وقت حلبهم ... وأقمت عندهم ستة أيام، وفي كل يوم يبعث بكبشين مشويين عند الصباح والمساء، وأحسن إلي بناقة وعشرة مثاقيل من الذهب».[٢٢]

خامسًا- سرد أسماء بعض الشخصيات التي تسكن تكدًا، وتنحدر من الغرب الإسلامي والسودان الغربي، ومن هذه الشخصيات: شيخ المغاربة سعيد بن علي الجزولي، القاضي أبو إبراهيم إسحاق الجاناتي، وعلي أغيول المغربي التادلي، ومحمد بن سعيد السجلماسي، وجعفر محمد المسوفي، والخطيب محمد، والمدرس أبو حفص، وجعفر التواتي، والفقيه محمد بن عبد الله قاضي تكدًا، وغيرهم.[٢٣]

وصارت تكدًا في نهاية القرن الخامس عشر مركزًا دينيًّا وفكريًّا بالسودان الأوسط، بسبب العلماء والفقهاء، الذين قدِموا إلى تكدًا من الغرب الإسلامي، وأسَّسوا حلقات علميّة، يدرسون فيها مختلف العلوم المعارف الإسلامية، ومن أشهر هؤلاء العلماء:

- **المصلح الجزائري أبو عبدالله بن محمد المغيلي التلمساني (١٤٢٥ - ١٥٣٠م)**، الذي اتخذ تكدًا مركزًا لنشاطه، قبل أن ينتقل إلى بلاد هوسا، وقد كوّن من أهلها كبار العلماء، أمثال: العاقب بن عبدالله الأنوساماني المسوفي، ومحمد بن أحمد التازختي المعروف بأَيْدَ أحمد، وشمس الدين النجيب بن محمد التيجداوي الأنوساماني، وغيرهم.[٢٤]
- **جلال الدين السيوطي العلامة المصري**، ولد في رجب سنة ٨٤٩هـ، وتوفي سنة ٩١١هـ، وقد لقيه محمد بن يوسف الأنصاري الحجازي عندما هرب من تادا مكة إلى النيجر، إلى بلدة اسمها آير شرقي النيجر على حدود ليبيا، ومعه تلميذه الشريف محمد إسحاق أبو الهدى الدغوغي «نسبة إلى بلدة في

المغرب تسمى دغوغ قريبة من مرّاكش»، وهناك اجتمعا مع الحافظ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، وعبدالكريم المغيلي التواتي، وكان قد قدما من القاهرة إلى النيجر للدعوة والتعليم، بدعوة من قاضي آيير محمود البغدادي، وهناك اجتمع الثلاثة من غير موعد بينهم، ففتحوا دروسًا في المنطقة تحت إشراف البغدادي والحافظ السيوطي، رحمهما الله.[٢٥]

وازداد الإشعاع العلمي في تكدًّا في القرن السادس عشر، بعد نبوغ فقهاء وعلماء محليين من تلاميذ المغيلي والسيوطي، وبلغوا الدرجة القصوى في علوم الدين واللغة والأدب وأشهرهم:

- **العاقب عبدالله الأنصمني المسوفي:** أخذ العلم عن الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي في تكدًّا، وعند الإمام السيوطي لمّا حجّ، وصفه أحمد باب في نيل الابتهاج بقوله: «فقيه نبيه، ذكي الفهم، حاد الذهن، وقاد الخاطر، مشتغل بالعلم، في لسانه حدة».[٢٦] توفي سنة ٩٥٠هـ، وله مؤلفات وتعاليق وفتاوى،[٢٧] ومن تعاليقه ومؤلفاته في العلوم الدينية: تعليقه على قول خليل وخصّصت نية الحالف، وقد لخّصه أحمد بابا التنبكتي في جزء سمّاه: «تنبيه الواقف على تحرير: وخصصت نية الحالف»، ومن كتب العاقب أيضًا: «في وجوب الجمعة بقرية أنصمن». وقد خالف غيره من شيوخ بلده، وأرسلوه لعلماء مصر فصوّبوه، و»الجواب المجدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود»، أجاب فيها السلطان أسكيا الحاج محمد، وله أيضًا أبحاث في النوازل، مع الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (ت ١٥٣٣م)،[٢٨] والشيخ الحافظ البلبالي من العلماء الذين قدموا من بلاد المغرب، ودخل تكدًّا، وأغاديس، ومدينة كنو، وكاشنة، واستفاد منه أهلها، وكان بينه وبين العاقب الأنصماني التكدًّاوي نزاع طويل في المسائل الفقهية.[٢٩]
- **شمس الدين النجيب التكدًّاوي:** توفي نحو ١٠٠٦هـ، وذكر أحمد بابا التنبكتي أنه «معه فقه وإصلاح».[٣٠] ومن مؤلفاته: شَرح المختصر بشرحين: أحدهما في أربعة أسفار، وثانيهما في سفرين، وله تعليق على «تخميس العشرينات» للفازازي، وتعليق على «المعجزات الكبرى للسيوطي».[٣١]
- **محمد بن أحمد بن أبي محمد التازختي:** اشتهر بأَيْدَ أحمد، وكان شيخًا محقّقًا، قرأ ببلده، ثم رحل إلى تكدًّا، فلقي المغيلي، وحضر دروسه، ثم رحل إلى الشرق صحبة الفقيه محمود فلقي أجلّاء، كشيخ الإسلام زكريا، والبرهانين، والقلقشندي، وابن شريف، وعبدالحق السنباطي، فأخذ عنهم الحديث، حتى صار في أعداد المحدثين. كما لقي الشمس اللقاني، والناصر أخاه، وحضر دروسهما، وأجازه من أهل مكة أبو البركات النويري، وابن عمه عبدالقادر، وعلي بن ناصر الحجازي، وأبو الطيب البستي، واجتهد حتى صار من محصلي العلماء، ثم قفل إلى السودان، فنزل بلدة كشنة، فأكرمه صاحبها وولّاه القضاء، وتوفّي بها في حدود ست وثلاثين وتسعمائة، وله طرر على مختصر خليل وغيره.[٣٢]

وإنّه رغم هذه المكانة الحضارية والعلمية، التي تميّز بها مركز تكدَّا، وأثّرت أيّما تأثير في السودان الغربي، فإنّ نهاية تكدَّا قد كانت في سنة ١٥١٦م، عندما انتصر سلطان آيير الغديل عليها، وبعد أفول نجمها، حلّت محلها أغاديس، التي أصبحت بعد ذلك أكبر مركز للتجارة الصحراوية في شمالي النيجر، وهاجر إلى أغاديس طائفة من علماء تكدَّا، ومنهم شمس الدين النجيب، الذي يقال: إنه كان حيًّا حتى نهاية القرن السادس عشر.[٣٣]

المبحث الثالث- مركز أغاديس في شمالي النيجر

تقع أغاديس اليوم في الشمال الشرقي من نيامي عاصمة النيجر، وقد احتلّت موقعًا مهمًّا في تاريخ السودان الغربي، ذكرها كلٌّ من: الحسن الوزان، وأحمد بابا التنبكتي، ومحمود كعت، والسعدي، وغيرهم، وقد اختلفت الروايات في تاريخ تأسيسها، فذهب مارمول بأنَّها أسّست سنة ١٤٦٠م،[٣٤] وتقول رواية محلية، بأنّها تأسّست عام ١٤٣٠م، وفي رواية أيضًا، أنّها تأسّست سنة ١٥٠٢م،[٣٥] وترى رواية أخرى، أنّ أصل المدينة يبدأ ببناء جامع أغاديس الكبير، ثم نما حول هذا الجامع مركز المدينة، ليكون السلطان يونس هو من أنشأها، ويكون السلطان الثالث عليساوان، هو الذي كان وراء ازدهارها في العام ١٤٣٠م.[٣٦]

وبعد بناء أغاديس، تحوّلت إلى مدينة وعاصمة سلطان آيير، كما صارت مركزًا عظيمًا تلتقي فيه القوافل، فحلّت بذلك محلّ العاصمة القديمة (أسوده)، التي تقع على بعد ٢٦٥كم من أغاديس، و٤٩كم من تيميا.[٣٧]

وقد زار أغاديس المستكشف الألماني هانري بارت، ووصل إلى أقدز يوم ١٠ أكتوبر عام ١٨٥٠م، ومكث فيها يدرس المنطقة ومستقبلها التجاري.[٣٨] ومن الذين زاروا أغاديس من الغرب الإسلامي، ووصفوها، الرحالة المغربي الحسن بن محمد الوزان الزياتي الفاسي، المشهور بليون الإفريقي عام ١٤٨٨م، والمتوفى عام ١٥٥٤م، فقد وصف مملكة أغاديس أحسن وصف، فقال: «أغدس مدينة مسورة، بناها الملوك المحدثون في تخوم ليبيا، وهي مدينة السود، التي تكاد تكون أبهى من مدن البيض، باستثناء ولاتة، دورها متقنة البناء جدًّا على نمط دور بلاد البربر، لأنّ جميع سكانها تقريبًا من التجار الأجانب، وأهل البلاد فيها قليلون...».[٣٩]

وأمَّا أشهر طرق القوافل التي تمرّ بأغاديس، والتي سهّلت التفاعل بين الغرب الإسلامي والسودان الغربي فهي:[٤٠]

- طريق فاس، تمبكتو، تلمسان، أغاديس، كانو.
- طريق غدامس إلى بلاد الهوسا عن طريق غات وآيير (أغاديس).
- طريق الجزائر، عين صالح، توات، تمنغست، أغاديس، زندر، كانو.
- طريق القيروان، طرابلس، برقة، مرزق، الكفرة، غدامس، أغاديس.

- طريق القيروان، توات، أغاديس، زندر، كانو.
- طريق بنغازي، القفرة، مرزق، أغاديس.
- طريق طرابلس، غدامس، غات، أغاديس.
- الطريق (الحج) الصحراوي، أغاديس، القاهرة، البحر الأحمر.

والتجار في أغاديس ينحدرون من الطوارق البدو، والمقيمين، والقبائل العربية الوافدة من الجزائر، وليبيا، وتونس، والمغرب، ومصر، وقبائل الهوسا من النيجر ونيجيريا، ويقوم النشاط التجاري على بيع المواشي، والملح، والتمر، والحبوب، واللباس، والسكر، والشاي، والتبغ، والكتب، والسيوف، والمصنوعات الجلدية، والذهب، والفضة، والسكاكين، والقلائد، وأحذية الصحراء(البلغة)، والأعشاب الطبية، وغيرها.

وإلى جانب مكانة أغاديس الاقتصادية في السودان الغربي، فإنّها أيضًا قد كسبت مكانة علمية وثقافية في جنوب الصحراء الكبرى؛ حيث زخرت بجهابذة العلماء، الذين خدموا الإسلام، ونشروا العلوم، وبنوا المساجد، وغير ذلك، بل شيّدوا حضارة إسلامية، لا تزال آثارها باقية، ومن هؤلاء الأعلام والمشايخ، الذين احتلوا مكانة حضارية وعلمية في أغاديس:

- **السيدة أم هانئ الأندلسية:** وهي من التابعات، قدمت إلى أغاديس مع الدعاة الأوائل من الغرب الإسلامي، واستوطنتها، وظلّت تنشر العلوم حتى توفيت ودفنت في أغاديس، وهي صاحبة القصيدة المشهورة، التي تنسب خطأ إلى السيدة رقية جدة عثمان بن فوديو، ومطلعها:[٤١]

الكريم يقبل تائبًا أتاه لا يخاف بخسًا كل من رجاه
بالعذاب يُجزى من عصى ويُخزى لا ينال عزًّا من تبع هواه

- **الشيخ زكريا:** وهو الذي قيل: إنه قدم من غدامس، أو من مالي، مع الحاج أسكيا محمد إلى أغاديس، في أثناء رحلته إلى الحج، واستقرّ الشيخ زكريا في أغاديس، وبنى مسجدين شهيرين بنمط العمارة السودانية الساحلية، باستخدام الطين والجص مع عوارض خشبية كبيرة، تبرز من فوق، وهو الذي بنى كذلك مئذنة مسجد أغاديس عام ١٥١٥م على شكل برج، علوه ثلاثون مترًا، وقد أضحت تلك المئذنة علامة بارزة، ومعلمًا معماريًّا في هذه المدينة التاريخية في شمالي النيجر.
- **معلم جبريل بن عمر:** ويلقب بأبي الأمانة،[٤٢] من أكبر دعاة الإسلام، الذين عرفوا في السودان الغربي، خلال القرن الثاني عشر الهجري، وهو أول من قام بتربية الشيخ عثمان بن فوديو، وأخيه عبدالله بن فوديو، ولد في منطقة أغاديس، وتلقى العلم على علمائها في بلده، ومن شيوخه الشيخ: علي تجبو، والشيخ أبوبكر بن الحاج عثمان، والشيخ علي الحاج عثمان، رحل من أغاديس، والتقى المشايخ والأعلام في مصر والسودان والحجاز، ففي الحجاز الذي رحل إليه مرتين، تلقى العلم في المرة الأولى عن الشيخ يوسف

الحفناوي، كما درس على الإمام مرتضى الحسني الزبيدي، صاحب تاج العروس، ولازمه الشيخ جبريل حتى نال منه الإجازة في الكتب الستة، وموطأ مالك، ومسند أحمد بن حنبل، وغيرها من الكتب، ومن نص إجازته قوله: «فليعلم القارئ بأني قد أجزت للعلامة الجليل مولاي الشيخ جبري بن عمر...الخ».[٤٣]

وممّا ألفه الشيخ جبريل بن عمر من الكتب ما يأتي: نظم أوضح المسالك لابن هشام، ألفية في أصول الحديث، مشكلاته التي جمعها الشيخ عثمان بن فوديو.

- **سيدي محمود البغدادي:** قدم من المشرق، ودخل بلاد آيير مسرجًا بالنور والهداية، وهرع إليه للاقتباس من نوره وهدايته، من يرى اضطراره وافتقاره إلى من ينقذه من الضلالة إلى الهدى، ومن الظلم إلى النور، ومن الجهل إلى العلم،[٤٤] كما عمل على إحياء السنة، ومحاربة البدع، والدفاع عن الحق، وقد كوّن عددًا من الذين صاروا من بعده علماء في المنطقة.
- **درفن بن فقيه محمد الشهير بأنظمت،** هو سوقي قبيلة، وأغاديسي منشأ وموطنًا، كان حيًّا سنة ١٧٧٩م، ومن شيوخه: محمد بن أبي هريرة بن المختار بن سيدي أحمد الشرعي بن علي الغلاوي الشنقيطي، العالم الفاضل والعالم النحوي، له حظ من علم التصريف واللغة وعلم العروض، وأمّا تلاميذ ودرفن فمنهم العالم هارون بن جبريل، وقد أجازه جميع مروياته، وأجازها بعد ذلك للعالم الفهامة محمد بن صلة الغدامسي رحمه الله،[٤٥] وله شرح حسن ومفيد في مجلد كبير واحد على ألفية ابن مالك سمّاه: «هبة المالك على خلاصة ابن مالك»، جمع فيه ما تشتّت في غيره من الشروح، ممّا يعسر استحضاره غالبًا في آن واحد، ويدل على تمهره في علمي النحو والصرف.[٤٦]
- **عثمان بن فوديو:** ولد عثمان بن فوديو عام ١٧٥٤م في ماراطا بغوبر، وهي قرية صغيرة بوادي غلمي في محافظ طاوا بالنيجر، ودرس القرآن، وعشرينية الفزازي، والنحو، وعلوم اللغة، ومختصر خليل، في مسقط رأسه، ثم انتقل إلى معلم جبريل بن عمر، ومكث معه سنة، وتبعه إلى أغاديس في شمال النيجر، حيث تمكن عثمان بن فوديو من الاستفادة من دروس علماء أغاديس، ومن بينهم الشيخ وديرفان، وسعيد باش، وغيرهما.[٤٧] وقد حفظت أسرة آل فوديو جميل الشيخ جبريل بن عمر، وقالوا فيه الكثير من الشعر، بمشاعر تعبّر عن تقديرهم لهذه الشخصية.

والجدير بالذكر، ونحن بصدد الحديث حول عثمان بن فوديو، الذي حصل على معظم تكوينه العلمي في أغاديس، أن أمير آيير (أغاديس) محمد الباقري بن السلطان محمد العدال، قد كان يقدر الشيخ عثمان، وأنّه هو الذي عرّف السلطان مولى سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل بن الشريف (ت ١٢٣٨هـ) السلطان المغربي بأمر الشيخ، ودعوته الإصلاحية في بلاد الهوسا، لأنّ أغاديس في تلك الفترة كانت تعتبر الحدّ الشرقي الشمالي للحكم المغربي في السودان.

وقد أورد محمد بلو بن عثمان بن فوديو في «إنفاق الميسور» نص الرسالتين، فالرسالة الأولى: أرسلها السلطان مولى سليمان، إلى سلطان أغاديس محمد الباقري، ردًّا على كتابه حول أحوال الشيخ عثمان بن فوديو (ت ١٨١٧م)، والرسالة الثانية: بعث بها المولى سليمان إلى عثمان بن فوديو، يخبره بما وصل إليه من أمره، وممّا جاء في نص الرسالتين:[٤٨]

أولًا – وثيقة السلطان مولاي سليمان سلطان المغاربة، إلى أمير آيير محمد الباقري بن السلطان محمد العدال، جوابًا على كتابه حول أحوال الشيخ عثمان بن فوديو ودعوته، وهي مؤرخة بعام (١٢٢٥هـ-١٨١٠م).

«بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وما توفيقي إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، (فانقَلَبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله)، الحمد لله الذي هدانا للإيمان والإسلام، وأزكى الصلاة والسلام على سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب وعجم، وعلى آله وصحبه وكل من انتصر به.

ومن تكن برسول الله نصرته إن تلقه الأسد في آجامها تجم

وبعد السلام التام، المحفوف بمزيد الإكرام، على أخينا في الله، سلالة السلاطين، والخلفاء الأساطين، سلطان أهير السيد محمد الباقري بن السلطان محمد العدال.

فلتعلم أنه أتى حضرتنا العلية باليد صحبة هديتك، الدالة على حسن طويتك، كتاب منك كريم، فتلقيناه بالتبجيل والتكريم، وفتحناه فإذا هو مخبرنا عن حسن حالكم، وما فتح الله به عليكم من بلوغ أمالكم، ومخبر عن حال الفقيه النبيه الصالح السيد عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن فوديو...».

ونستنتج من هذا النص من الوثيقة الحقائق الآتية:

- وجود علاقة سياسية ودينية قوية، تربط سلطنة أغاديس الواقعة في صحراء النيجر بالسلطة في المغرب.
- أن سلطان أغاديس، هو المسؤول الموكول من ملك المغرب بشؤون المسلمين في ناحيته وبلاد هوسا.
- أنّ سلطان أغاديس، يحظى بتقدير من ملك المغرب، الذي يقرّ بأنه من سلالة السلاطين ويعتبره أخًا له.
- أنّ سلطان أغاديس، هو الجهة الرسمية التي عرّفت السلطة في المغرب بأمر عثمان بن فوديو ودعوته، وهو الذي زكّاه عند ملك المغرب.

ثانيًا– من نص وثيقة السلطان مولاي سليمان، سلطان المغاربة، الموجهة إلى عثمان بن فوديو:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على سيدنا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وصحبه الذين انتهجوا نهجه القويم. إلى السيد الذي فشا في أقطار السودان عدله، واشتهر في الآفاق المغربية ديانته وفضله، العلامة النبيه، العليم في زمانه الشبيه، ذو النورين العلم والعمل، اللذان هما منتهى الأمل، السيد عثمان بن محمد

بن عثمان بن صالح الفلاني، نفع الله بعلومه القاصي والداني، وسلام منا عليه، ما اشتد شوقنا إليه، ورحمة من الله تغشاه، حتى لا يخشى إلا الله، «والله أحق أن تخشاه».

وبعد: فقد بلغنا من الثناء عليك، والتعريف بأحوالك وأفعالك وأقوالك، ما أوجب محبتنا عليك، وتسليمنا إليك، وذلك على لسان سلطان محبتنا، سلطان ناحيتكم، وأمير الطوائف الإسلامية بمساحتكم، المقر في كتابه بفضلك، وأنك ناصح لله، وعليه صدار محبتنا، السلطان محمد الباقر بن محمد العدال، فإنه أخبرنا بما قمت به من الأمر الواجب، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...».

ونستنتج من رسالة السلطان مولاي سليمان إلى دان فوديو ما يأتي:

- أنّ سلطان أغاديس هو الممثّل السياسي والديني للمغرب في أرضه، التي تعتبر الحدّ الشرقي الشمالي للحكم المغربي في السودان.
- أنّ ملك المغرب عرف بأمر دان فوديو برسالة سلطان أغاديس أمير الطائفة الإسلامية في ناحيته.
- أنّ سلطان أغاديس في رسالته إلى الملك المغربي أشاد بفضل بن فوديو وزكاه في دعوته.
- أنّ سلطان أغاديس يحظى بمكانة خاصة، وحبّ كبير، من ملك المغرب السلطان مولاي سليمان.

الخاتمة

استطعنا من خلال هذا العرض الموجز لموضوع بحثنا، أن نرصد بعض الملامح من تاريخ مراكز التجارة الصحراوية في شمالي النيجر، وخاصة تلك التي كان لها أثر كبير في التفاعل الحضاري والعلمي بين السودان الغربي، والغرب الإسلامي؛ حيث جسّد المهاجرون والعلماء والتجار والرحالة هذا التفاعل، من خلال تنقّلاتهم، التي لم تمنع الصحراء الكبرى برمالها الكثيفة تدفقها، بل ظلوا يتنقلون مع القوافل الصحراوية، بين الطرق الممتدة من شمالي إفريقيا، نحو السودان الغربي، فعمل هؤلاء التجار والعلماء على اندماج الشعوب الإفريقية والعربية علميًّا وحضاريًّا، وتأسّست على نشاطهم مراكز حضارية في السودان الغربي، ومن أهم معالمها المساجد والمدارس، التي تنشر العلوم والمعارف الدينية في كاوار، وتكدًّا، وأغاديس، وغيرها، ناهيك عن المؤلفات التي خلّفوها في مختلف العلوم والمعارف الدينية.

الهوامش والإحالات

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، معجم ٤، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م)، ٤٣٢.

(٢) ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، (تطوان: مطبعة كريماديس، ١٩٥٨م)، ٤٨.

(٣) جان كلود كلوتشكوف، النيجر اليوم، (باريس: منشورات جون أفريك، ١٩٨٢م)، ٩٢.

(٤) عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، حققه: عبد الله الطباع، (بيروت: دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، ١٩٦٤م)، ٥٠-٥٢.

(٥) صالح بن علي محمد الربع، عقبة بن نافع الفهري حياته وجهاده، (د.م: د.ن، ١٤١٣هـ)، ١٣.

(٦) الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء من نهاية القرن الخامس عشر إلى بداية القرن الثامن عشر، (القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩٩م)، ٣١٣.

(٧) الحضارة الإسلامية في النيجر، (الرباط: المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة-إيسيسكو، ١٩٩٤م)، ١٠٠.

(٨) ابن الأبار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، تحفة القادم، (بيروت: دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م)، ١٥٧.

(٩) صلاح الصفدي، الوافي بالوفيات، مجلد ٦، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م)، ١٠٩.

(١٠) محمد بن شريفة، إبراهيم الكانمي، أنموذج مبكر للتواصل الثقافي المبكر بين السودان والمغرب، (الرباط: معهد الدراسات الإفريقية، ١٩٩١م)، ١٣-١٩.

(١١) ينظر: الحموي، معجم البلدان، مجلد ٤، ٤٣٢.

(١٢) الصفدي، الوافي بالوفيات.

(١٣) القضاعي، تحفة القادم، ١٥٨.

(١٤) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، (بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧م)، ٧١٠.

(١٥) أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، ٣٧٧.

(١٦) ينظر: الحضارة الإسلامية في النيجر، ٣٥.

(١٧) التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ٣٨١.

(١٨) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٧١٠.

(١٩) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٧١٠.

(٢٠) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٧١٠.

(٢١) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٧١٠.

(٢٢) رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٧١٠.

(٢٣) ينظر: رحلة ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ٧١٠-٧١١-٧١٢.

(٢٤) ينظر: الشيخ قريب الله بن محمد الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ط٣، (كنو: مطبعة الاتصال للطباعة العربية، ٢٠١٣م)، ٣٣.

(٢٥) عبد الأول بن حماد الأنصاري، المجموع في ترجمة العلامة المحدث الشيخ حماد بن محمد الأنصاري، ج١، (د.م: د.ن، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، ٢٠٤.

(٢٦)) أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم: عبد الحميد الهرامة، (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٣٩٨هـ - ١٩٨٩م)، ٣٥٣.

(٢٧) آدم عبد الله الآلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، (القاهرة: مكتبة الكتاب المصري، ١٤٤٥هـ - ٢٠١٤م)، ٨٥.

(٢٨) ينظر: الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي، تاريخ السودان، (باريس: د.ن، ١٩٨١م)، ٣٩.

(٢٩) الآلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ٨٥.

(٣٠) التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ٦١٦.

(٣١) الآلوري، الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فوديو الفلاني، ٨٥.

(٣٢) ينظر: التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ٥٨٧.

(٣٣) الحضارة الإسلامية في النيجر، ٦٨.

(٣٤) ينظر: مارمول كزيخال، إفريقيا، ج٣، ترجمة: محمد حجي وآخرون، (الرباط: دار المعرفة للنشر والتوزيع، ١٩٨٨م)، ٢٠٦-٢٠٧.

(٣٥) ينظر: حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ط٢، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م)، ١٥٢.

(٣٦) ينظر: كلوتشكوف، النيجر اليوم، ٦٨.

(٣٧) ينظر: كلوتشكوف، النيجر اليوم، ٨١.

(٣٨) مرموري حسن، التوارق بين السلطة التقليدية والإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، (الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، ٢٠١٠م)، ١٥٣ – ١٥٤.

(٣٩) حسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ط٢، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣م)، ١٧١-١٧٢.

(٤٠) ينظر: محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، ط٢، (د.م: مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، ١٩٨٩م)، ٧٧.

(٤١) ينظر: الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ٦١.

(٤٢) ينظر: الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ٤٢.

(٤٣) ينظر: الناصر، الرسالة الجلية لمكانة نيجيريا العلمية، ٤٥.

(٤٤) محمد بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، أمير المؤمنين مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلو، منشورات جامعة عثمان بن فوديو، (صكتو: مركز الدراسات الإسلامية، ١٤٢٤هـ)، ١٤٥.

(٤٥) ينظر: أعمال ندوة التواصل الثقافي والاجتماعي بين الأقطار الإفريقية على جانبي الصحراء أيام ١٥ ـ ١٧، ١٩٩٨م، (طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ١٩٩٩م)، ٢٥٤.

(٤٦) محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور، (القاهرة: دار نجيبونة للبرمجة والدراسات والطباعة والنشر، ب.ت)، ١٧٥.

(٤٧) ينظر: الحضارة الإسلامية في النيجر، ١١٦.

(٤٨) ينظر: بلو، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، أمير المؤمنين مختارات من مؤلفات أمير المؤمنين محمد بلو، منشورات جامعة عثمان بن فوديو، ٣١٠ – ٣١٣.

- طرق القوافل التي تربط بين شمالي إفريقيا والسودان وتمر بعضها بمراكز التجارة الصحراوية في شمالي النيجر، **المصدر:** أحمد بابا التنبكتي، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تحقيق: محمد مطيع، (الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، ٣٨١.

مراكز التجارة الصحراوية في شمالي النيجر وطرق القوافل التي تمر بها

ملحوظة: آيير كتبوه هنا: العير، ـ تكدًا كتبوه: تاكدة، ـ بلما كتبوه: بلمه

المصدر: تاريخ إفريقيا العام، ط٢، (باريس: منشورات اليونسكو، ١٩٩٧م)، ٣١١.

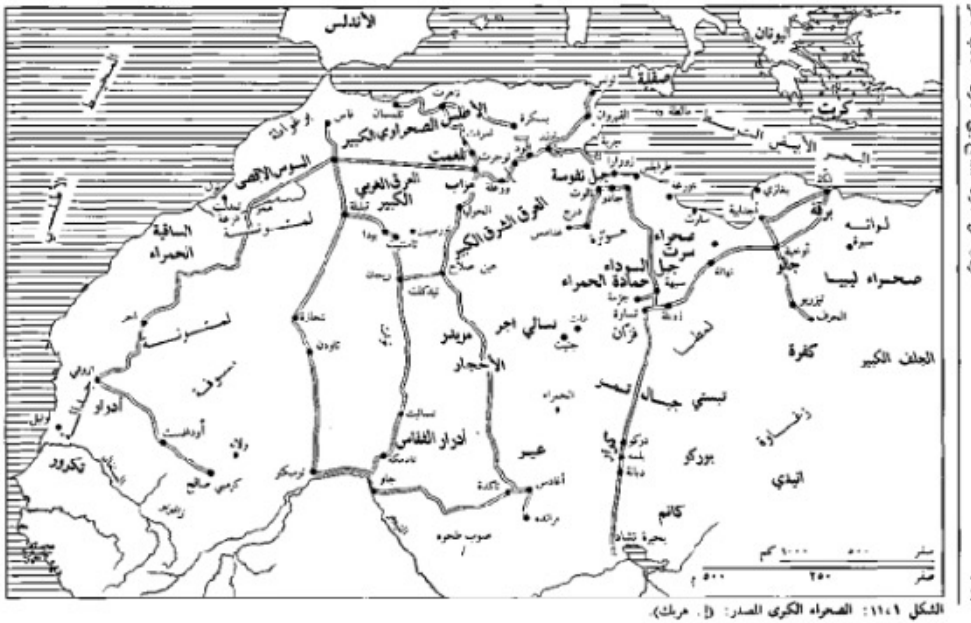

الشكل ١١،١: الصحراء الكبرى الصدر: (ا. هرمك).

آفاق تطور العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية: واقع الاستثمار والفرص المستقبلية

د. جيهان عبد السلام عباس، أستاذ الاقتصاد المساعد بكلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، القاهرة.

لم تعد العلاقات العربية الإفريقية في القرن الحادي والعشرين تأخذ منحى العلاقات التاريخية والثقافية بوجهٍ خاص، بل أصبحت ترتكز على أسس أكثر اتِّساعًا وتنوُّعًا؛ إذ تمثِّل العلاقات الجيوسياسية والاقتصادية المحرِّك الرئيس لهذه العلاقات. وفي إطار ذلك، فقد ركَّزت المملكة العربية السعودية على تعميق العلاقات بالقارَّة الإفريقية، وشمولها جميع الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصولًا إلى معالجة اختلال الأوضاع المعيشة، ومشكلات البيئة وعوارضها، ونقص الغذاء في القارَّة؛ إذ كشفت المملكة العربية السعودية عن رؤيتها التنموية لعام ٢٠٣٠م، وهي إستراتيجية جيواقتصادية مصمّمة لتقليل اعتمادها على الثروة النفطية، وتنويع اقتصادها، ومن الطبيعي أن تتَّجه المملكة نحو إفريقيا من أجل شراكة مستدامة، وتعاون اقتصادي مثمر. وقد عزَّزت تلك التوجُّهات في إطار «قمة الرياض»، التي عُقدت في نوفمبر عام ٢٠٢٣م، ووضعت أسسًا أوسع نطاقًا، نحو مزيد من التعاون الاقتصادي والتنموي مع إفريقيا، في إطار من التكامل الاقتصادي، والمستقبل المستدام.

ومن هذا المنطلق، تتناول هذه الدراسة ملامح العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية، من حيث التجارة والاستثمار، كذلك الفرص المستقبلية، الدافعة نحو تعزيز هذا التعاون، مع تركيز التحليل على حالة العلاقات بين المملكة العربية السعودية والقارة الإفريقية، ومحدّدات تلك العلاقة، كذلك الفرص الاقتصادية المستقبلية في إفريقيا، والتي يمكن الاستفادة منها لمزيد من التعاون الاقتصادي بين الجانبين، وذلك من خلال المحاور الآتية:

أولًا- ملامح العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية

تبنَّت المنطقتان: العربية والإفريقية مجموعةً متنوِّعة من المبادرات، لتحقيق التكامل الاقتصادي، منها منطقة التجارة الحرة العربية، ومنطقة التجارة الحرة الثلاثية، التي تربط ثلاث مجموعات اقتصادية إقليمية في إفريقيا، وتضمُّ أيضًا ثلاث دول عربية، هي: مصر، وليبيا، والسودان، وانضمَّت تونس مؤخّرًا إلى السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا (الكوميسا)، وغيرها من المبادرات.[١] وسنحاول توضيح تلك الجهود الرامية لدعم العلاقات الاقتصادية العربية الإفريقية، من خلال الجوانب الآتية:

أ- العلاقات التجارية

كان حجم التجارة ما بين الدول العربية والإفريقية ضئيلًا للغاية، منذ نهاية فترة التسعينيات حتى عام ٢٠١٥م تقريبًا؛ إذ لم يتجاوز حجمها في المتوسط ثلاثة مليارات دولار، وهذا الحجم، يشكِّل ما نسبته ٣٪ فقط من واردات إفريقيا من الخارج. وبين عامي ٢٠٠١ و٢٠١١م، زادت صادرات الدول العربية إلى إفريقيا ستة أضعاف، وتحرَّكت التدفُّقات في الاتجاه المعاكس ثمانية أضعاف، وعلى مدى العقد الأول من الألفية الجديدة، سجَّلت التجارة بين المنطقتين نموًّا بمعدَّل ٢١٪ سنويًّا، ولم تتعثَّر إلَّا في عام ٢٠٠٩م، مع بداية انعكاسات الأزمة المالية العالمية. ومنذ عام ٢٠١٢م، حقَّقت الدول العربية وبوجه ثابت فائضًا تجاريًّا في مبادلاتها مع إفريقيا. ولم تكن هذه الديناميكية لتستمرّ في العقد التالي؛ إذ شهدت الصادرات العربية إلى إفريقيا قيمًا متقلّبة، وتراجعًا بوجه واضح في عام ٢٠١٥م، وكان أداء الصادرات العربية إلى إفريقيا أفضل من الصادرات العربية إلى وجهات أخرى، في الفترة من عام ٢٠١٢ إلى عام ٢٠١٦م، ممَّا أدَّى إلى زيادة حصّتها في إجمالي الصادرات العربية من ٤,٤٪ إلى ٥,٨٪. ومع ذلك، فقد ظلَّت هذه الحصة راكدة، منذ ذلك الحين، عند ما يشكّل نحو ٥,٥٪، واستمرَّت في التباطؤ في عام ٢٠١٨م، بسبب الحروب التجارية بين اللاعبين الاقتصاديين الرئيسين (الصين، والولايات المتحدة الأمريكية)، تليها جائحة كوفيد-١٩. وعلى الرغم من حدوث انتعاش قوي للصادرات العربية إلى إفريقيا، لتصل في عام ٢٠٢١م إلى نحو ٥٧ مليار دولار، في حين أن الصادرات الإفريقية إلى الدول العربية، كانت نحو ٦٣ مليار دولار للعام ذاته، إلَّا أنَّ العقد -عمومًا- لم يظهر اتّجاهًا إيجابيًّا ممتدًّا.[٢] وما زال الاتحاد الأوروبي والصين يسيطران على صدارة الشركاء الرئيسين لإفريقيا، منذ مطلع عام ٢٠٠٠م.[٣]

شكل رقم (١): تطور قيمة الصادرات العربية إلى إفريقيا خلال الفترة (٢٠١٢-٢٠٢١م).

Source: International Trade Centre (ITC), *Expanding Arab African Trade: Opportunities for Export Growth* (Geneva: ITC, 2023), 2.

شكل رقم (٢): الصادرات الإفريقية إلى الدول العربية خلال الفترة (٢٠١٢-٢٠٢١م)

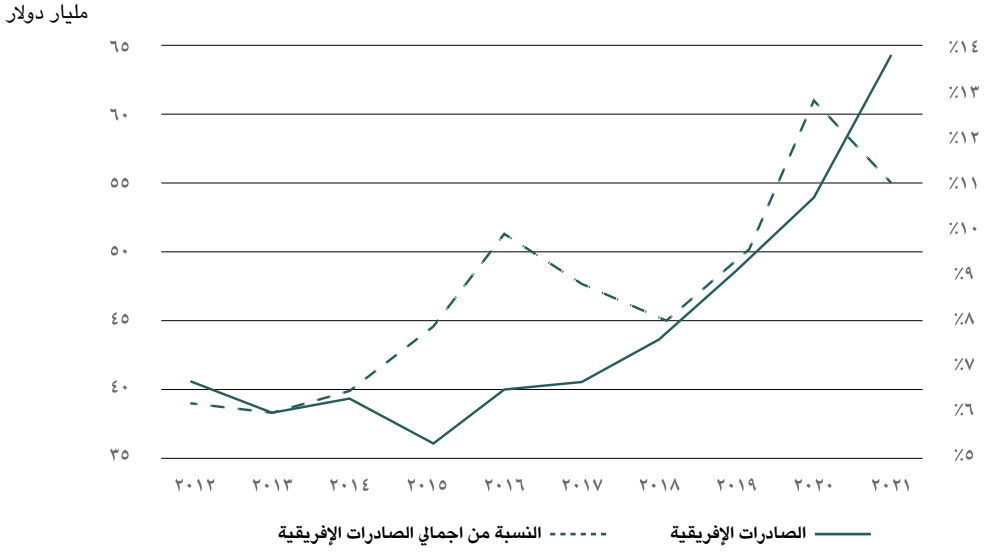

Source: International Trade Centre (ITC), *Expanding Arab African Trade: Opportunities for Export Growth* (Geneva: ITC, 2023), 2.

ب- تطور الاستثمار العربي في إفريقيا

رغم الخطوات الإصلاحية التي اتّخذتها العديد من الدول الإفريقية، لتحسين مناخ الاستثمار، وترويج أهم القطاعات الاقتصادية الجاذبة له، إلَّا أنَّ الاستثمار العربي في إفريقيا، ما زال يتَّسم بالضعف النسبي، ومحصورًا بوجه كبير في استثمارات دول الخليج العربي؛ إذ يعدّ الاستثمار الخليجي في إفريقيا، هو الأبرز من حيث إجمالي الاستثمارات العربية بدول القارة، وبلغ نحو ٩,١٠١ مليار دولار بإفريقيا، خلال الفترة من عام ٢٠١٢ حتى عام ٢٠٢٢م، بمشروعات يتجاوز عددها ٦٢٨ مشروعًا. أمَّا الاستثمارات الإفريقية في دول الخليج، فكانت أقل قيمة بدرجة كبيرة؛ إذ بلغت نحو ٣ مليارات دولار فقط، خلال الفترة نفسها، موزّعة على نحو ١٤١ مشروعًا. وعلى مدى العقد الماضي من القرن الحادي والعشرين، برزت دولة الإمارات العربية المتحدة كواحدة من أكبر المستثمرين في إفريقيا، بين دول مجلس التعاون الخليجي، ورابع أكبر مستثمر على مستوى العالم في إفريقيا، بعد الصين وأوروبا والولايات المتحدة. وفي عام ٢٠١٨م وحده، موَّل صندوق أبو ظبي للتنمية – أيضًا – أكثر من ٦٦ مشروعًا في ٢٨ دولة إفريقية، بقيمة ١٦,٦ مليار دولار أمريكي. وفي الفترة بين يناير عام ٢٠١٦ ويوليو ٢٠٢١م، استثمرت دولة الإمارات ١,٢ مليار دولار أمريكي في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، وهو ما يمثّل ٨٨٪ من إجمالي استثمارات دول مجلس التعاون الخليجي خلال تلك الفترة. كما استثمرت المملكة العربية السعودية – وهي مستثمر كبير آخر في إفريقيا – استثمارات كبيرة في مشاريع الطاقة والتعدين، وخاصة في الأعمال التجارية الزراعية في إفريقيا، استجابة للمخاوف المتزايدة بشأن الأمن الغذائي في المنطقة، ويليهما كلٌّ من قطر، والكويت، والبحرين، كما هو موضح بالشكل رقم (٣).[٤]

شكل رقم (٣): أكبر خمس دول خليجية من حيث قيمة تدفقات استثماراتها الأجنبية المباشرة إلى إفريقيا خلال الفترة (٢٠١٢-٢٠٢١م)

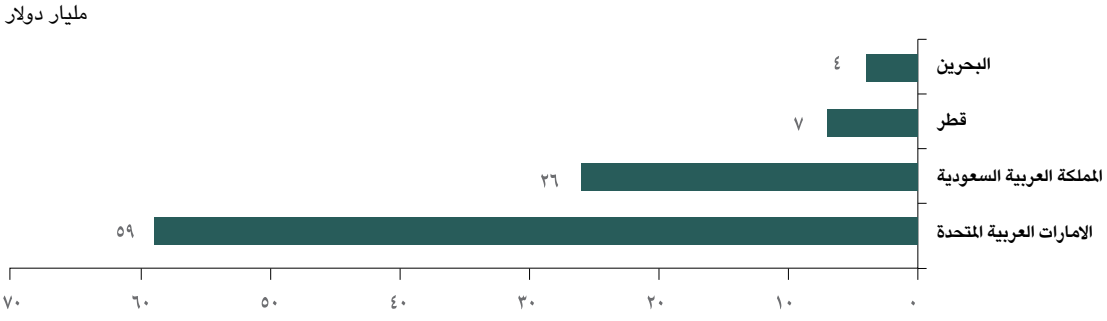

Source: Gareth Hodder, "Africa and the Gulf States herald a new era in trade and investment relations," *White & Case*, December 12, 2022, https://www.whitecase.com/insight-our-thinking/africa-focus-winter-2022-africa-and-gulf-states.

ج- أهم الاستثمارات العربية في إفريقيا

تتَّجه الاستثمارات العربية إلى دول إفريقية بعينها إلى حدٍّ كبير؛ إذ كانت مصر والمغرب والجزائر، يليهم نيجيريا وجنوب إفريقيا، وبعض دول شرق إفريقيا، هي الدول الأكثر استقبالًا للاستثمارات العربية، كما هو موضّح في الشكل رقم (٤). وكانت القطاعات التقليدية المستقبلة لتلك الاستثمارات هو قطاع الزراعة؛ حيث يظلّ الأمن الغذائي مصدر قلق كبير للمنطقة العربية، خاصة بعد غزو روسيا لأوكرانيا، وظهور أزمة سلاسل التوريد العالمية، ولا سيّما المتعلقة بالحبوب والسلع الإستراتيجية. ومن المتوقّع - أيضًا - أن يضيف تغيّر المناخ مزيدًا من الضغوط على الإمدادات الغذائية في منطقة الخليج. وفي مواجهة تلك الضغوط، تستطيع إفريقيا بما لديها من مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، أن تضاعف إنتاجها من الحبوب إلى ثلاثة أمثاله، وهو ما من شأنه أن يضيف ٢٠٪ إلى الإنتاج العالمي، ومن الممكن حدوث زيادات مماثلة بالنسبة لمحاصيل البستنة والماشية. كذلك مشروعات البنية التحتية والطاقة التقليدية، ووسائل النقل والمواصلات.[٥]

شكل رقم (٤) أهم الدول الإفريقية المستقبلة للاستثمارات العربية والخليجية خلال الفترة (٢٠١٢-٢٠٢٢م)

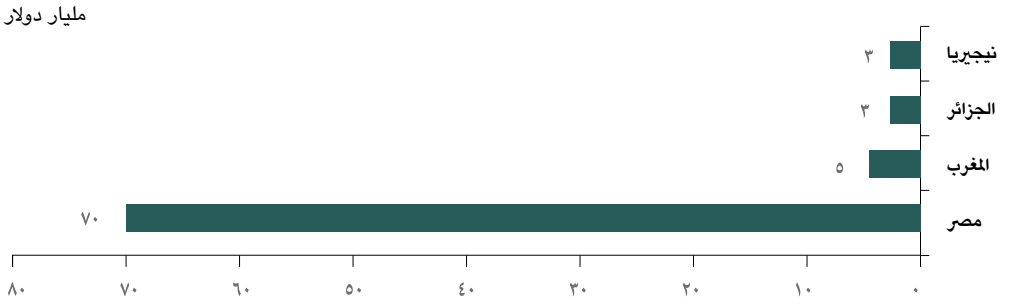

Source: Gareth Hodder, "Africa and the Gulf States herald a new era in trade and investment relations," *White & Case*, December 12, 2022, https://www.whitecase.com/insight-our-thinking/africa-focus-winter-2022-africa-and-gulf-states.

ثانيًا- العلاقات الاقتصادية بين المملكة العربية السعودية وإفريقيا

كانت المملكة العربية السعودية من أوائلِ الدول المطالبة بانضمام الاتحاد الإفريقي إلى العضوية الدائمة بمجموعة العشرين[٦]، إضافة إلى دعمها الحالي لاستحداث مقعد إضافي لإفريقيا في المجلس التنفيذي لصندوقِ النقد الدولي،[٧] لتعزيز صوت القارة الإفريقية في المحافل الدولية، ويأتي ذلك إدراكًا من المملكة بقيمة

الثقل السياسي والاقتصادي للقارة الإفريقية. ومن هذا المنطلق، نستعرض طبيعة العلاقات الاقتصادية بين المملكة وإفريقيا في النقاط الآتية:

أ- محددات العلاقة الاقتصادية بين المملكة العربية السعودية وإفريقيا

تُعدّ اقتصادات كلٍّ من المملكة العربية السعودية وإفريقيا واعدةً وغنيّة بمختلف مقوّمات الشراكة؛ فالمملكة تعدّ أحد أكبر اقتصادات الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، والاقتصاد ١٧ عالميًّا، وهي أحد أسرع اقتصادات دول الخليج نموًّا في عام ٢٠٢٢م. أمَّا القارَّة السمراء، التي تعدّ ثاني أكبر قارات العالم بعد آسيا، فيصل حجم اقتصادها إلى نحو ٣ تريليونات دولار، وتضمّ ٥ اقتصادات من أسرع ١٠ اقتصادات نموًّا في العالم،[٨] ولها مستقبل اقتصادي واعد، أقرَّته معظم المؤسسات الاقتصادية العالمية والإقليمية، إذ توقَّع التقرير السنوي لبنك التنمية الإفريقي لعام ٢٠٢٤م، أن إفريقيا ستكون ثاني أسرع المناطق نموًّا بعد آسيا، وتبرز الأهمية الاقتصادية لإفريقيا بالنسبة للمملكة العربية السعودية في عدّة محاور، تمثّل المحدّدات الرئيسة لهذه العلاقة، والتي يمكن اختصارها في الآتي:

- تحقيق أمن البحر الأحمر، نظرًا لأهميته للدول العربية والإفريقية المشاطئة؛ فنحو أكثر من ٨٠٪ من التجارة الدولية المنقولة بحرًا تكون من خلاله، بما في ذلك ٣٠٪ من حركة الحاويات العالمية، وهو ما يمثّل تريليون دولار من التجارة كل عام[٩]. كما يشرف على مضيق باب المندب، الذي تعبره ٢٠ ألف سفينة سنويًّا، حاملة ١٢٪ من التجارة العالمية، ليحتلّ بذلك المرتبة الثالثة عالميًّا بعد مضيقي هرمز وملقا.[١٠] وهو ما يتطلّب إلى جانب الجهود الأمنية والعسكرية، الدخول أيضًا في شراكات اقتصادية مع معظمها؛ لذا تحرّكت المملكة العربية السعودية في مختلف الأقاليم الإفريقية، خاصة دول القرن الإفريقي القريبة من المملكة.
- دعم دور المملكة في منطقة خليج عدن ومضيق باب المندب، وهو ما يتطلّب أيضًا توطيد الحضور السعودي في محاور التداخل الإستراتيجي، بين إفريقيا وشبه الجزيرة العربية، عن طريق الاستثمار الاقتصادي، وأشكال الحضور المختلفة، في كلٍّ من جيبوتي وجزر المحيط الهندي في شرق إفريقيا.[١١]
- تتَّسم القارة الإفريقية بأنَّها قارة بكر، تنعم بالعديد من الثروات الاقتصادية الهائلة؛ فيوجد بها نحو ٣٠٪ من احتياطي الثروات المعدنية في العالم، مثل: ألماس، والذهب، والبلاتين، واليورانيوم. كما يتوافر فيها مقوّمات الزراعة، وأهمّها توافر الأرض الخصبة والمياه. يضاف إلى ذلك غنى القارة بمصادر الطاقة، وأهمها النفط والغاز، إذ تضمّ أكثر من ٢١ دولة منتجة للنفط، منهم أربع دول تنتمي لمنظمة

أوبك هي: نيجيريا، وأنجولا، وليبيا، والجزائر. كما أنَّها سوق واعدة، تتّسم بالاتّساع (١,٥ مليار نسمة)، كما توجد في القارة العديد من الاقتصادات الواعدة، التي سجَّلت معدّلات نموّ متسارعة في السنوات الأخيرة، ومنها ستة اقتصادات متوقّع أن يرتفع ناتجها المحلي الإجمالي إلى ٢٩ تريليون دولار عام ٢٠٥٠م، وكل ذلك يمثّل فرصًا اقتصادية، يمكن أن تخدم الجانبين: السعودي والإفريقي، في تحقيق التكامل الاقتصادي.

ب- العلاقات الاقتصادية بين المملكة العربية السعودية وإفريقيا

١- العلاقات التجارية

سجَّل التبادل التجاري بين المملكة العربية السعودية وإفريقيا في عام ٢٠٢٢م، نحو ٤٤ مليار دولار، منها ٣٤ مليار دولار صادرات، و١٠ مليارات دولار واردات، ويميل الميزان التجاري لصالح المملكة بمقدار ٢٤ مليار دولار، مع ارتفاع الصادرات السعودية غير النفطية إلى إفريقيا، بمعدّل نموّ سنويّ بلغ ٥,٩٦ ٪ خلال الفترة من ٢٠١٨ إلى ٢٠٢٢م. وتجدر الإشارة إلى أنَّ الدول الإفريقية غير العربية والإسلامية، لم تمثّل سوى ٢٪ من إجمالي صادرات المملكة العربية السعودية، لعام ٢٠٢١م، كما هو موضّح في الشكل رقم (٥)، أمَّا من حيث الواردات فكانت تلك الدول مصدر نحو ٣٪ من واردات المملكة للعام ذاته. والشريكان التجاريان الرئيسان للسعودية في إفريقيا، هما: جنوب إفريقيا، ومصر. وفي حين تصدر السعودية المطاط، والمواد الكيميائية، والسلع الاستهلاكية، والفلزات، والمنتجات الغذائية، إلى إفريقيا، فإن وارداتها من إفريقيا تتكوّن بوجه رئيس من المعادن، والمواد الخام، والخضروات، والمنتجات الزجاجية.[١٢] ويتوقّع أن يزداد حجم التجارة السعودية – الإفريقية، مع اتجاه المملكة إلى إقامة خطوط بحرية وبرية مباشرة مع دول القارة، مثل إقامة خطوط ملاحية بين موانئ جيبوتي وجدة وجازان، وتعزيز وجود المنتجات السعودية في دول القرن الإفريقي. كما يعدّ مشروع جسر الملك سلمان على خليج العقبة، الذي دُشِّن في زيارة العاهل السعودي إلى مصر، في أبريل عام ٢٠١٦م، أحد أبرز الخطوات، على طريق تعزيز التعاون بين المملكة العربية السعودية والقارة الإفريقية. كذلك مع اتجاه دول القارة نحو تنفيذ منطقة التجارة الحرة القارية، التي سوف تسمح بتعزيز التعاون التجاري البيني، كذلك العلاقات التجارية بين إفريقيا وغيرها من دول الجوار العربي.

شكل رقم (٥) الصادرات السلعية للمملكة العربية السعودية موزعة بنسب مئوية حسب مجموعات الدول عام٢٠٢١ م

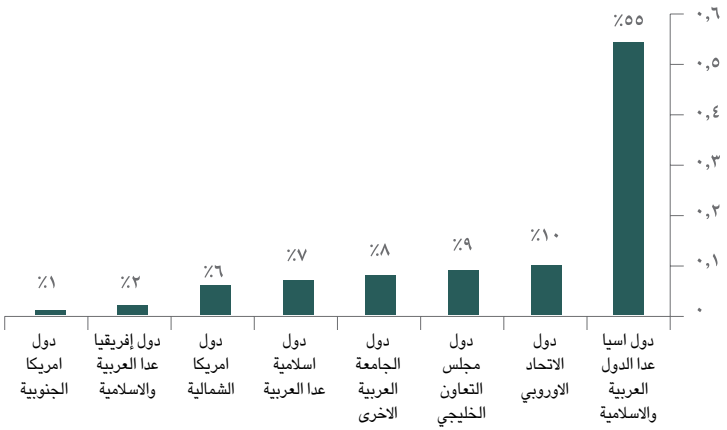

المصدر: الهيئة العامة للتجارة الخارجية، التقرير السنوي لعام ٢٠٢٢م، (الرياض: الهيئة العامة للتجارة الخارجية، ٢٠٢٢م)، ٢٧.

شكل رقم (٦) الواردات السلعية للمملكة العربية السعودية موزعة بنسب مئوية حسب مجموعات الدول عام ٢٠٢١م

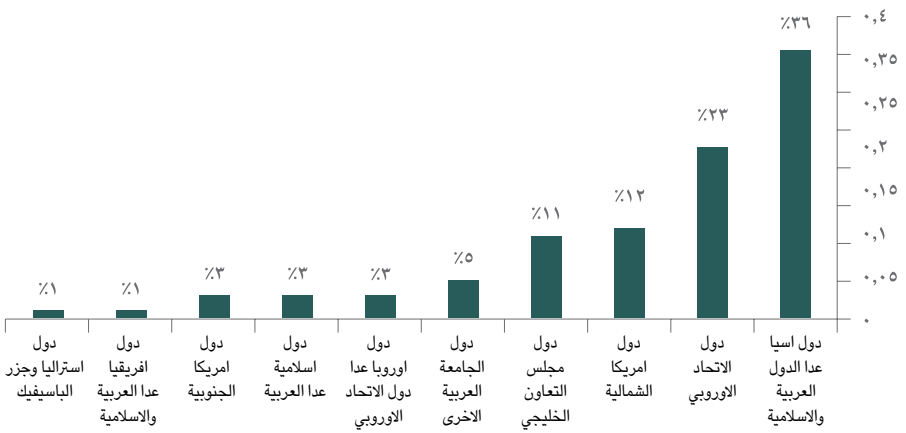

المصدر: الهيئة العامة للتجارة الخارجية، التقرير السنوي لعام ٢٠٢٢م، (الرياض: الهيئة العامة للتجارة الخارجية، ٢٠٢٢م)، ٢٨.

٢- العلاقات الاستثمارية

أضحت المملكة أحد أكبر المستثمرين الخليجيين بمعظم دول القارة، خاصة مصر، والسودان، وجنوب إفريقيا، والسنغال، وإثيوبيا. وقد بلغت الاستثمارات السعودية في دول القارة الإفريقية نحو ٢٧٤ مليار ريال (٧٣ مليار دولار) حتى عام ٢٠٢٣م، لا سيّما في ظل تأكيد رؤية المملكة العربية السعودية (٢٠٣٠)، بأن تكون قوّة استثمارية رائدة على المستوى الدولي والإقليمي والإفريقي، وتتطلّع المملكة لضخّ استثمارات سعودية جديدة، في مختلف القطاعات في إفريقيا.

- **القطاعات الاستثمارية محل الاهتمام:** يعدّ القطاع الزراعي أحد أكبر القطاعات، التي تستثمر فيها المملكة في الدول الإفريقية. وكانت مبادرة الملك عبدالله للاستثمار الزراعي السعودي في الخارج، التي انطلقت عام ٢٠٠٨م، لتلبية احتياجات المملكة الغذائية، قد اهتمّت بالاستثمار الزراعي في إفريقيا،[١٣] وعلى سبيل المثال، فقد بلغت المشروعات السعودية بإثيوبيا ٢٩٤ مشروعًا، بقيمة ٣ مليارات دولار، نحو ٥٠٪ منها في القطاع الزراعي، والإنتاج الحيواني، وتحتلّ بها المرتبة الثالثة من حيث الاستثمار في إثيوبيا، لتصبح المملكة العربية السعودية المستثمر الأجنبي الرابع بإثيوبيا. كما تحظى السنغال بنصيب مرتفع من استثمارات الصندوق السعودي للتنمية بغرب إفريقيا، ويصل إلى ٤٠٪.[١٤]

يضاف إلى ذلك قطاع التعدين؛ فقد ساهمت أجندة إصلاحات رؤية المملكة العربية السعودية ٢٠٣٠، في رفع دور قطاع التعدين في الاقتصاد السعودي، ووضعه كركيزة اقتصادية رئيسة، مدفوعة بالرغبة في تنويع الاقتصاد، وزيادة الإيرادات غير النفطية؛ إذ تأمل المملكة تعزيز مساهمة قطاع التعدين في ناتجها المحلي الإجمالي من ١٧ مليار دولار إلى ٧٥ مليار دولار بحلول عام ٢٠٣٠م. ومن المتوقّع أن تؤدّي استثمارات التعدين المحلية إلى خفض واردات المعادن السعودية من ١٩ مليار دولار حاليًّا، إلى ١١,٥ مليار دولار، بحلول عام ٢٠٣٥م، ممَّا يقلّل التكاليف، ويزيد القدرة التنافسية للصناعات السعودية المعتمدة على المعادن.[١٥] ومن هذا المنطلق، فقد أعلنت المملكة العربية السعودية أنّها ستشتري حصص تعدين عالمية بقيمة ١٥ مليار دولار، لتأمين المعادن من دول مثل: ناميبيا، وغينيا، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، لزيادة إمدادات المعادن الحيوية، للمعالجة والتصنيع المحلي، وتعدّ شراكة مربحة للدول الإفريقية على وجه الخصوص؛ حيث تمتلك المملكة رأس مال كبيرًا، وخبرة في استخدام مواردها الطبيعية.[١٦] ورحّبت الدول الإفريقية بتلك الشراكة في منتدى مستقبل المعادن، الذي عقدته حكومة المملكة العربية السعودية في يناير عام ٢٠٢٤م. وتشارك شركة تعدين جديدة، مدعومة من صندوق الاستثمارات العامة السعودي، (PIF) بنشاط في استكشاف ما يصل إلى ٤٥ موقعًا مختلفًا للتعدين المحتمل، في جميع أنحاء القارة.[١٧]

وتقود شركة التعدين العربية السعودية، المعروفة باسم «معادن»؛ أحد أكبر شركة تعدين في الخليج، هذه المهمة.[١٨]

وفي مجال الطاقة، استثمرت العديد من الشركات السعودية الخاصة، في محطات الطاقة الشمسية، في جنوب إفريقيا، والمغرب، ومصر. كما افتتحت بعض الشركات الحكومية العملاقة، مثل شركة الكيماويات سابك - المملوكة للدولة بنسبة ٧٠٪ عبر شركة أرامكو السعودية - مكاتب أو شركات تابعة في المغرب، وتونس، وجنوب إفريقيا. يضاف إلى ذلك وعود استثمارية ضخمة، ما زالت تحت التخطيط، وفي طريقها للتنفيذ، مثل: مشروع وزارة البترول السعودية، ببناء مصفاة عملاقة بطاقة ٣٠٠ ألف برميل يوميًّا (نصف احتياجات جنوب إفريقيا) بحلول عام ٢٠٢٨م.[١٩]

واتَّخذت المملكة العربية السعودية عدّة خطوات لتعزيز وجودها الاستثماري في مجال مشروعات البنية التحتية؛ ففي ١٥ نوفمبر عام ٢٠٢٢م، التقى الرئيس الغيني «مامادي دومبويا» الرئيسَ التنفيذي للصندوق السعودي للتنمية، وتمخّض الاجتماع عن مذكرة تفاهم، وافق فيها الصندوق السعودي على تقديم ٨ ملايين دولار لمشروع مياه في البلاد. وسيبني الصندوق ١٤٠ بئرًا (سيُشغَّل الكثير منها بالطاقة الشمسية)، وسيوفر مشاريع أخرى لتوصيل المياه، مثل: خزانات المياه، للتخفيف من حدّة الجفاف في المناطق الريفية في غينيا.[٢٠]

- **أهم الدول الإفريقية محل الاستثمار:** ركَّزت المملكة في وجهة استثماراتها على الدول الإفريقية المحورية، ومنها جنوب إفريقيا، ونيجيريا، اللتان تنتجان وحدهما أكثر من نصف الناتج المحلي الإجمالي لإفريقيا جنوب الصحراء، إذ تعدّ جنوب إفريقيا أبرز الدول الجاذبة للاستثمارات السعودية، بحجم استثمارات تجاوز ١٥ مليار دولار معظمها في مجالات الطاقة، بما في ذلك الطاقة المتجدّدة والخضراء، والهيدروجين، والطاقة الشمسية، والخدمات اللوجستية.[٢١] أمَّا نيجيريا فقد اتُّفِق على تفعيل دور مجلس أعمال، لضخّ استثمارات بمليارات الدولارات في نيجيريا، في العديد من القطاعات، بما في ذلك الزراعة، والنفط، والغاز، والاتصالات، والتقنية، والتطوير العقاري، كما أن أبوجا والرياض، كعضوين في منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك)، يحافظان على تعاونهما الوثيق، لصالح سوق النفط العالمية، وقدَّمت المملكة العربية السعودية خلال قمة الرياض نوفمبر عام ٢٠٢٣م تعهّدات بتقديم دعم مالي، لمواصلة إصلاحات تتعلّق بسعر صرف النيرا النيجيرية، أمام العملات الأجنبية. كذلك الدول الواعدة في إنتاج الطاقة والمعادن، مثل: الكونغو الديموقراطية، وغينيا الاستوائية، والجابون، وأنجولا.[٢٢]

كما تعدّ أثيوبيا من أهمّ الدول التي تستثمر فيها المملكة، والتي عزّزها توقيع اتفاقية تجارية بين أثيوبيا والسعودية، لتوسيع قاعدة التعاون والاستثمار في مايو عام ٢٠١٦م، وتشير وزارة الاستثمار الإثيوبية، إلى

أنه حصل أكثر من ٣٠٥ مستثمرين سعوديين على تراخيص، خلال عشر سنوات، لتنفيذ ١٤١ مشروعًا في مجال الإنتاج الزراعي والحيواني، و٦٤ مشروعًا آخر في القطاع الصناعي.[٢٣]

أمَّا في دولة جيبوتي فقد اتَّفقت الرياض وجيبوتي على إطلاق المنتدى الاقتصادي السعودي- الجيبوتي في مارس عام ٢٠١٧م،[٢٤] وكذلك الصومال، فقد وقَّعت الرياض في مارس عام ٢٠١٦م مذكِّرة تفاهم، بين سلطتي الطيران المدني في الرياض ومقديشو، على أن يكون التشغيل بين الدولتين، كما قدّم الصندوق السعودي للتنمية دعمًا ماديًّا للموازنة الصومالية، وساهمت الرياض في ارتفاع الصادرات الصومالية، في أعقاب خطوة لرفع حظر دام تسع سنوات على استيراد الماشية من الصومال، خاصة أن الثروة الحيوانية هناك تعدّ الدعامة الأساسية للاقتصاد.[٢٥]

أمَّا العلاقات الإريترية – السعودية فقد تعزّزت بعد الاتفاق الأمني، الذي أبرمته الرياض مع أسمرة عام ٢٠١٥م، لمحاربة الإرهاب والقرصنة في البحر الأحمر، كما وافقت دول الخليج على تقديم حزمة من المساعدات المالية، وتعهّدت بتحديث مطار أسمرة الدولي، وإنشاء بنية تحتية جديدة في إريتريا.[٢٦]

- **المساعدات التنموية والإنسانية:** تأتي الدول الإفريقية في مقدّمة المستفيدين من المساعدات الخارجية، التي تقدّمها المملكة العربية السعودية؛ فقد قدَّمت المملكة خلال ٥٠ عامًا دعمًا تنمويًّا بأكثر من (٤٥) مليار دولار، في العديد من القطاعات الحيوية، استفادت منه (٤٦) دولة إفريقية[٢٧]، ويعدّ الصندوق السعودي للتنمية بمنزِلة الجهاز الأساس، المعني بتقديم المساعدات الإنسانية والتنموية للدول الإفريقية في القطاعات الصحية، والتعليمية، والاجتماعية، والإسكان، والبنية التحتية، فضلًا عن دعم اللاجئين والنازحين في دول إفريقية كثيرة، كالصومال والسودان.

كذلك حصول مجموعة الساحل الخمس على أعلى دعم مقدّم من طرف المملكة العربية السعودية. كما أنفق الصندوق الاجتماعي للتنمية ٤,٢ مليار يورو في إفريقيا، وأكثر من ٦٠٪ من هذا المبلغ يشمل دول المغرب العربي، كما تحصل جيبوتي على ثلاثة أضعاف ما تحصل عليه إثيوبيا، ومرتين ممّا تحصل عليه كينيا. وفي غربي إفريقيا (١٨ دولة وفقًا لقائمة الصندوق الاجتماعي للتنمية – منها الصومال والجابون)، فإن أكثر من ربع المبلغ المستحق، يتعلّق بموريتانيا فقط. كذلك السنغال، هي المتلقّي الثاني في منطقة غربي إفريقيا؛ فقد حصلت على ما يقرب من نصف الاعتمادات.[٢٨]

وبالإضافة إلى الصندوق الاجتماعي للتنمية، تستطيع المملكة العربية السعودية الاعتماد على حضورها الكبير في البنك الإسلامي للتنمية؛ إذ تتلقّى إفريقيا نحو ٢٣٪ من الأموال التي يمنحها البنك الإسلامي للتنمية مثل: السنغال (٩٪ من إجمالي أموال البنك الإسلامي للتنمية في جميع أنحاء العالم)، ومصر (٥,٩٪)، والمغرب (٤,٩٪).[٢٩]

علاوة على ذلك، ساهمت المملكة العربية السعودية في مجالات تنموية إفريقية مختلفة في التعليم، والصحة، والنقل، والبنية التحتية، بما في ذلك مكافحة الجوع والفقر والأوبئة، مثل: كوفيد-١٩. وقُدِّم ما مجموعه ٥٠٠ مليون دولار، لمكافحة فيروس كورونا، و١٥٠ مليون دولار لتحالف اللقاحات، و٢٠٠ مليون دولار لدعم الكيانات الصحية.[٣٠] كما تبّرعت حكومة المملكة العربية السعودية بمبلغ مليوني دولار أمريكي لبناء المقر الدائم الجديد للكوميسا في لوساكا بزامبيا. وكان الدافع لدعم بناء مقر الكوميسا ينبع من العلاقات القوية القائمة بين المملكة وكتلة الكوميسا، المبنية على الاحترام المتبادل، والعمل المشترك. كما يأتي تأكيدًا على دعم المملكة للجهود التي تبذلها الكوميسا لتحقيق أهدافها، والتي تشمل تعزيز العلاقات بين الدول الأعضاء، وتعزيز التجارة، وتشجيع السلام والاستقرار، وتعزيز التنمية الاقتصادية.[٣١]

ج- جهود المملكة العربية السعودية لدعم علاقتها الاقتصادية بإفريقيا

عزَّزت المملكة تعاونها الاقتصادي مع إفريقيا بتوقيع العديد من الاتفاقيات الاقتصادية، وتنظيم الفعاليات المشتركة. وقد أفضت خطى المملكة وإجراءاتها المتوالية في هذا السياق إلى بناء علاقات سياسية واقتصادية أكثر قوة، وأطرٍ مؤسّسية لم تكن قائمة مع كثير من دول القارة الإفريقية.

ومن أمثلة ذلك، استضافة المملكة مؤتمر الاستثمار الخليجي الإفريقي الأول في عام ٢٠١٠م، والملتقى العربي الإفريقي الدولي للاستثمار الأول بمحافظة جدة. وسرعان ما انعكس ذلك على حجم التجارة والاستثمار بين الجانبين؛ إذ بلغ وفقًا لبيانات (الأونكتاد) نحو ٢,١٨ مليار دولار عام ٢٠١٥م.[٣٢] كما أن منطقة شرقي إفريقيا تستمدّ أهمّيّتها الحيوية من ارتباطها الوثيق بالبحر الأحمر، بصفته شريان الملاحة الدولية، وهو ما دفع المملكة العربية السعودية إلى تأسيس «مجلس الدول العربية والإفريقية المُطلة على البحر الأحمر وخليج عدن، الذي أُعْلِن عنه في العاصمة السعودية الرياض في السادس من يناير عام ٢٠٢٠م، كما يحظى بدعم العديد من القوى الدولية، ما يعني خلق فرص عديدة، تعزِّز من أسس الأمن والاستقرار والتنمية، في هذه المنطقة الحيوية من العالم.[٣٣]

كما استضافت هيئة تنمية الصادرات السعودية تحت عنوان: «صنع في السعودية»، بعثات تجارية من كلٍّ من جمهورية مصر العربية، وجمهورية نيجيريا الاتحادية، خلال الفترة من ٢٧ إلى ٢٨ يونيو عام ٢٠٢٢م، في العاصمة الرياض، وهدفت تلك البعثة إلى تعزيز سبل التجارة، وخاصة غير النفطية بين الجانبين، في إطار رؤية المملكة ٢٠٣٠، لرفع نسبة الصادرات السعودية غير النفطية إلى ٥٠٪ على الأقل، من إجمالي قيمة الناتج المحلي غير النفطي بحلول عام ٢٠٣٠م.[٣٤]

يضاف إلى ذلك سعي المملكة العربية السعودية إلى تعزيز العلاقات مع دول السوق المشتركة لشرق وجنوب إفريقيا، بإنشاء مجالات جديدة للاستثمار والتنمية، من خلال أمانة الكوميسا؛ إذ زار المستشار في الديوان الملكي السعودي أحمد عبدالعزيز قطان، في ٩ يونيو عام ٢٠٢٢م، أمانة الكوميسا، لبحث التعاون، وطلب الدعم في استضافة معرض إكسبو العالمي ٢٠٣٠ في المملكة العربية السعودية، وذلك في ضوء سعي المملكة العربية السعودية إلى تحقيق تعميق العلاقات والمشاركة في جهود التنمية، من خلال المبادرات الاستثمارية العملاقة، التي ستُطلَق في العديد من الدول الإفريقية، بالتنسيق مع المنظمات الإقليمية الإفريقية المختصة مثل الكوميسا.[٣٥]

ومؤخرًا، جاءت القمة السعودية الإفريقية، التي عقدت في نوفمبر عام ٢٠٢٣م، لتمثّل خطوة فارقة في تاريخ العلاقات السعودية الإفريقية، واختتمت القمة أعمالها باعتماد مشروع «إعلان الرياض» متضمّنًا توقيع أكثر من ٥٠ اتفاقية تعاون مشترك، بين القطاعات الحكومية والخاصة السعودية والعربية والإفريقية،[٣٦] والتي يمكن تلخيص أهمّ نتائجها، وفقًا للمجالات الاقتصادية المختلفة الآتية:

١- **مجال التجارة:** اقترحت المملكة العربية السعودية خلال القمة، تخصيص ١٠ مليارات دولار أمريكي، كتأمين للصادرات السعودية لإفريقيا، حتى عام ٢٠٣٠م، كما وقّع بنك التصدير والاستيراد السعودي (EXIM) اتفاقيات ومذكرات تفاهم، مع بنوك ومؤسسات مالية إفريقية، على هامش المؤتمر، بخط ائتمان بقيمة ١٨٥ مليون دولار، لتمويل الصادرات السعودية من السلع والخدمات، كان أولها مع البنك الأهلي المصري بقيمة ١٥٠ مليون دولار. أمَّا الاتفاقية الثانية بقيمة ١٠ ملايين دولار، فكانت مع بنك التصدير والاستيراد النيجيري. وتهدف الصفقة الثالثة بقيمة ٢٥ مليون دولار إلى تمويل مستوردي السلع والخدمات السعودية من غربي إفريقيا، عبر بنك الإيكواس للاستثمار والتنمية. كما وقّع مذكّرات مع مؤسسة كينيا للتنمية، والبنك الإفريقي المتحد، وبنك التجارة والتنمية لشرق وجنوب إفريقيا، وبنك إفريقيا. وتهدف الاتفاقيات إلى دعم الاقتصادات الإفريقية، وتعزيز التبادل التجاري والاقتصادي بين السعودية والدول الإفريقية، وخلق فرص تجارية، وتسهيل وصول المنتجات السعودية إلى أسواق جديدة، وتعزيز قدرتها التنافسية.[٣٧]

٢- **الاستثمار:** عقدت وزارة الاستثمار السعودية عددًا من اجتماعات المائدة المستديرة، مع العديد من الدول الإفريقية، لتعزيز العلاقات الاستثمارية. وشهدت حضور عدد من الرؤساء والوزراء. هذا بالإضافة إلى مشاركة ممثّلي القطاع الخاص، وعدد من الشركات من الدول المشاركة مثل الصومال، وتشاد، وكذلك نيجيريا، وموريتانيا، وتنزانيا.[٣٨]مع تعهدات بضخّ استثمارات بقيمة ملياري ريال (٥٣٣ مليون دولار). وعلى هامش القمة، وقّعت المملكة العربية السعودية ونيجيريا بعض الاتفاقيات الاستثمارية، لتجديد أربع مصافي نفط متضرّرة في نيجيريا، في غضون عامين إلى ثلاثة

أعوام. وتعهّدت المملكة العربية السعودية بإيداع مبالغ كبيرة من النقد الأجنبي، لدعم احتياطيات نيجيريا، والحفاظ على إصلاحات الحكومة في مجال النقد الأجنبي.[٣٩]

٣- **التنمية:** أُطْلِقت مبادرة الملك سلمان الإنمائية في إفريقيا، خلال انعقاد القمة، بقيمة تتجاوز مليار دولار، على مدى ١٠ سنوات، ووقّع الصندوق السعودي للتنمية أكثر من ٥٠ اتفاقية ومذكرة تفاهم مع ١٢ دولة إفريقية. كما أعلنت المملكة عزمها على زيادة حضورها الدبلوماسي في القارة، ورفع عدد سفاراتها بالدول الإفريقية من ٢٧ إلى ٤٠ سفارة. كذلك وُقِّع على العديد من الاتفاقيات في المجالات الاجتماعية، مثل: الثقافة، والموارد البشرية، والتنمية الاجتماعية.[٤٠] وأبرم الصندوق السعودي للتنمية اتفاقيات قروض تنموية مع الدول الآتية:

- غينيا، لإنشاء مستشفى الأم والطفل – ٢٨١,٢٥ مليون ريال.
- ملاوي، لإنشاء وإعادة تأهيل طريق مانشوجي – ماكانجيرا – ٧٥ مليون ريال.
- بوركينا فاسو، لصالح مستشفى مانغا الإقليمي ٦٣,٧٥ مليون ريال.
- بوروندي، لإعادة تأهيل مستشفى الملك خالد الجامعي في بوجمبورا – ١٨٧,٥ مليون ريال.
- سيراليون، لبناء وتجهيز مستشفى الرياض التحويلي – ١٨٧,٥ مليون ريال.
- تنزانيا، لإنشاء خط نقل بيناكو إلى كياكا بمبلغ ٢٨,٧ مليون ريال.
- النيجر، لإنشاء مدارس ثانوية للبنات في عدة مناطق – ١٠٠ مليون ريال.[٤١]

ثالثًا- أهم القطاعات الاقتصادية الإفريقية الجاذبة للاستثمار العربي في المستقبل

هناك العديد من مجالات الفرص الاستثمارية، التي أصبحت محور الاهتمام الإفريقي والعالمي في الفترة الراهنة، والتي تحتاج إلى مزيد من الحضور الاستثماري العربي، خاصة في ظل التقارب بين الرؤى التنموية العربية، وما تتطلّع إليه الأجندة الإفريقية ٢٠٦٣؛ إذ يمكن لهذا التقارب أن يفتح آفاقًا جديدة للتنمية والتعاون في المستقبل؛[٤٢] فقد حدث تحوّل كبير في إفريقيا، من الاقتصاد التقليدي المعتمد على التعدين والزراعة، إلى الاقتصاد المعرفي القائم على صناعات أخرى، مثل: التجارة الإليكترونية، والسياحة، والاتصالات، وتكنولوجيا المعلومات... إلخ، والاقتصاد الأخضر، القائم على الأنشطة الإنتاجية الصديقة للبيئة.

وتجدر الإشارة هنا إلى السباق القائم بين مختلف دول العالم، على الاستفادة من القطاعات الاستثمارية الواعدة في إفريقيا؛ فهناك حضور أوروبي متمركز بالقارة، كذلك الوجود الصيني الذي يزداد يومًا بعد يوم؛ إذ زادت الصين استثماراتها في إفريقيا خلال العقود الأربعة الماضية، وارتفعت التدفّقات من ٧٥ مليون دولار عام (٢٠٠٣) إلى ٤٤ مليار دولار عام (٢٠٢١م).[٤٣]

يضاف إلى ذلك – أيضًا – علاقات اقتصادية، أصبحت تجمع إسرائيل بإفريقيا؛ إذ تقيم الأولى علاقات دبلوماسية، مع أكثر من ٤٠ دولة من دول إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، أهمّها جنوب إفريقيا، ونيجيريا، وإثيوبيا، وهم أكبر الشركاء التجاريين الرئيسين لإسرائيل، ويمثّلان نصف إجمالي صادرات إسرائيل إلى القارة. وتعدّ إسرائيل واحدة من روّاد العالم في مجال التقنيات الزراعية، ونظرًا لأوجه التشابه المناخية والجغرافية بين بعض الدول الإفريقية وإسرائيل، فإن التعاون في مجال التكنولوجيا الزراعية آخذٌ في التوسّع، كذلك مجالات الطاقة المتجدّدة، فعلى سبيل المثال، طوَّرت شركة جيجاوات جلوبال ومقرّها إسرائيل أول منشأة للطاقة الكهروضوئية، على نطاق المرافق العامة في شرقي إفريقيا. وتبني الشركة أول حقل خاص للطاقة الشمسية، متّصل بالشبكة في بوروندي، كما تتوسّع أنشطتها في غربي إفريقيا، بعد توقيع اتفاقية مع منظمة الإيكواس، لاستثمار مليار دولار في تنفيذ مشاريع الطاقة الخضراء.[٤٤] كما وافقت شركة الطاقة المتجدّدة الإسرائيلية إنيرجيا جلوبال على استثمار ٢٠ مليون دولار في ليبيريا، وأنشأت شركة Energiya Global أيضًا أول حقل للطاقة الشمسية على نطاق تجاري، في منطقة جنوب الصحراء الكبرى في إفريقيا في رواندا. علاوة على ذلك، ركَّز عدد من الشركات الإسرائيلية العاملة في قطاع الاتصالات تركيزًا خاصًّا على إفريقيا.[٤٥]

ومن كل ما سبق، يتَّضح أن التوجه الاستثماري نحو القارة محل اهتمام كبير من الاقتصادات الكبرى والصاعدة، والتنافس قائم، ويتّجه اتّجاهًا كبيرًا نحو قطاعات متطوّرة، ومن هنا نرى أنّ للدول العربية إمكانية الوجود الاستثماري في قطاعات واعدة في المستقبل بإفريقيا، ومن أهمّ هذه القطاعات الاستثمارية ما يأتي:

- **التكنولوجيا المالية FinTech:** يعدّ قطاع التكنولوجيا المالية أحد أسرع القطاعات نموًّا في إفريقيا، وهو ما جعله محل اهتمام من قبل مختلف المستثمرين حول العالم، إذ تشير البيانات إلى أنّه استُثمِر أكثر من ١,٦ مليار دولار أمريكي، بـ١٥٣ صفقة في عام ٢٠٢٣م، أي ضعف قيمة الاستثمار في عام ٢٠٢٠م (٨٠٠ مليون دولار أمريكي)، وهو ما يمثّل زيادة بنسبة ٥٠٪،[٤٦] وتتوقّع شركة «ماكينزي»، أن ينمو سوق الخدمات المالية في إفريقيا بنسبة ١٠٪ سنويًّا حتى عام ٢٠٢٥م، ليحقّق نحو ٢٣٠ مليار دولار من الإيرادات،[٤٧] ممَّا يشير إلى إمكانات هائلة للمستثمرين في هذا القطاع، خاصة في ظل وجود خطط إفريقية تهدف إلى رفع قدراته، للوصول إلى مستويات عالية من الاختراق والشمول المالي، لمختلف فئات المجتمع الإفريقي. وتتركّز الفرص الاستثمارية لهذا القطاع في الجنوب الإفريقي، يليها دول غرب وشرق إفريقيا، وتعدّ نيجيريا، ومصر، وكينيا، وغانا، والكاميرون، من أهم الأسواق البارزة.[٤٨]
- **قطاع الاتصالات والمعلومات والتكنولوجيا Information and Communication Technology(ICT):** لقد أصبح قطاع المعلومات والاتصالات والتكنولوجيا الآن، أكثر من أي وقت مضى، محرّكًا حاسمًا للنمو الشامل المستدام في إفريقيا، خاصة في ضوء جهود التعافي بعد كوفيد

-١٩. ومن الممكن أن يكون الاقتصاد الرقمي بمنزِلة أداة حقيقية للمساعدة في الحدّ من الفقر، وعدم المساواة، والبطالة، في إفريقيا.[٤٩] وقد شهد هذا القطاع تحوّلًا جذريًّا في القارة؛ إذ أصبحت صناعات الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، ذات قدرة تنافسية عالية، ممَّا أدَّى إلى خلق بيئة، لا يبقى فيها إلَّا الأفضل. ويوجد أكثر من ٤٠٠ مليون مشترك إفريقي في مجال الاتصالات في القارة، لكن لا يزال ٧٥٪ من سكان إفريقيا غير متصلين بالإنترنت؛[٥٠] ونتيجة لتلك الفجوة، فقد تدفَّقت الاستثمارات إلى هذا القطاع بقوة، خاصة الاستثمارات الصينية في البنية التحتية التكنولوجية، التي اكتسبت زخمًا في القارة، خاصة مع نمو سوق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إفريقيا، من ٩٥,٤ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠٢٠م، إلى ١٠٤,٢ مليار دولار أمريكي، بنهاية عام ٢٠٢٣م، وهو معدل نمو سنوي مركب، قدره ٤,٥٪.[٥١] والفرص الاستثمارية متاحة في معظم دول القارة، خاصة دول الشمال الإفريقي، والجنوب، وشرقي إفريقيا؛ فمثلًا تتمتَّع جنوب إفريقيا بواحد من أكبر أسواق تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في إفريقيا، وتظلّ الوجهة الإفريقية الأكثر أهمية للاستثمار في هذا المجال. كما توجّهت إليه عدد من الدول العربية مؤخرًا، وأبرزها شركة الاتصالات الإماراتية، التي تحتلّ المرتبة الخامسة عشرة، من حيث أكبر شبكة للهاتف المحمول في العالم، وتعمل في بنين، وبوركينا فاسو، وجمهورية إفريقيا الوسطى، ومصر، والجابون، وساحل العاج، والنيجر، ونيجيريا. وتدير شركة «كيوتل» ومقرها قطر، شبكات في الجزائر وتونس.

- **التجارة الإليكترونية Electronic Trade:** توفر الرقمنة فرصًا جديدة في التجارة، وتعزّز القدرة على الصمود في أوقات الأزمات. ومن الممكن أن يؤدّي التحوّل الرقمي في مجال التجارة بإفريقيا، إلى تحسين كفاءة العمليات، وتحقيق مكاسب تجارية بقيمة ٢٠ مليار دولار سنويًّا. ومع وجود التجارة الرقمية، فيمكن معالجة الاختناقات الموجودة مسبقًا في البنية التحتية، وتسخير الحلول المبتكرة.[٥٢] خاصة في ظل ارتفاع عدد المتعاملين في مجال التسوّق عبر الإنترنت من ١٣٨,٩ مليون شخص فقط في عام ٢٠١٧م، إلى ٣٨٧,٥ مليون عام ٢٠٢٢م. ومن المتوقَّع أنَّ يتجاوز عدد مستخدمي التجارة الإليكترونية في إفريقيا نصف مليار مستخدم بحلول عام ٢٠٢٥م. ويعتمد منطق النمو في هذا المجال إلى حدٍّ كبير على القفزات التكنولوجية التي تحدث داخل إفريقيا، بسبب البنية التحتية الاقتصادية المفقودة تاريخيًّا، مثل: البنوك، والخطوط الأرضية للاتصالات، والهواتف المحمولة وما إلى ذلك. وتتصدّر كينيا القارة الإفريقية من حيث فرص الاستثمار في التجارة الإليكترونية، حيث يمتلك ٨٨٪ من سكانها حسابات مصرفية، يُتعامَل بها في التجارة الإليكترونية، تليها جنوب إفريقيا بنسبة ٨٢٪، ونيجيريا بنسبة ٥١٪، والمغرب بنسبة ٤٢٪، ومصر بنسبة ٣٨٪.

- **مجالات النقل والخدمات اللوجستية والبنية التحتية Infrastructures and Logistics:** على مدى السنوات الماضية، استثمرت الحكومة الإفريقية استثمارًا كبيرًا في البنية التحتية الحديثة والشاملة للنقل، كما أنَّ الدول الإفريقية لديها العمالة الكثيفة والمدربة والرخيصة، التي تستطيع أن تتعامل مع مثل هذا النوع من المشروعات.[٥٣] كما تسعى اتفاقية التجارة الحرة القارية الإفريقية (AFCFTA)، التي أُطْلِقَت مطلع عام ٢٠٢٢م، إلى إزالة القيود المفروضة على السفر والتجارة للأفارقة، ممَّا يزيد من أهمّية النقل والخدمات اللوجستية الفعّالة عبر القارة.[٥٤]

ووفقًا لبنك التنمية الإفريقي، فإن هناك حاجة إلى ما يُراوح بين ١٣٠ و١٧٠ مليار دولار سنويًّا في الاستثمار في البنية التحتية، لتلبية أجندة ٢٠٢٥.[٥٥]

وهذا القطاع، دخلت فيه دول خليجية عدّة، تتمتّع بخبرة قوية في المشاريع واسعة النطاق، وسلاسل الخدمات اللوجستية، التي قد تساعد في تطوير موانئ وأنظمة السكك الحديدية، والطرق في الدول الإفريقية. ومن أمثلة ذلك، تدير موانئ دبي العالمية موانئ بحرية في أنغولا، وجيبوتي، ومصر، والمغرب، وموزمبيق، والسنغال، وأرض الصومال. كما أعلنت موانئ دبي العالمية، ووكالة تمويل التنمية البريطانية مجموعة «سي دي سي»، عن عزمهما استثمار ما يصل إلى ١,٧٢ مليار دولار أمريكي في البنية التحتية اللوجستية في إفريقيا، بما في ذلك تحديث الموانئ. وتبحث موانئ أبوظبي، بالتعاون مع شركة Hutchison Port Holdings، عن مشاريع في إفريقيا أيضًا. وكنقطة انطلاق، ينصبّ تركيزهم على رفع مستوى ميناء دار السلام في تنزانيا، كمركز تجاري رائد على مستوى العالم. كما شهدت السنوات الأخيرة قيام شركات دول مجلس التعاون الخليجي، بالاستثمار في أصول تتوافق توافقًا جيّدًا مع أعمالها؛ حيث استثمرت الخطوط الجوية القطرية ١,٣ مليار دولار أمريكي في عام ٢٠٢٠م، للاستحواذ على ٤٩ ٪ من شركة رواند إير، وحصة ٦٠٪ في مطار بوغيسيرا الدولي الجديد، بالقرب من كيغالي، وهو مركزها الإفريقي المخطط له. ويمثّل قيام جهاز قطر للاستثمار لاستثمار ٢٥٠ مليون دولار أمريكي في صندوق فيرونجا الإفريقي، دليلًا آخر على اهتمام قطر المتزايد بإفريقيا.[٥٦]

- **مشروعات الطاقة المتجددة:** ستصبح مصادر الطاقة المتجدّدة الأكثر أهمية في توليد الكهرباء بإفريقيا، خاصة في ظلّ التوجّه نحو مصادر الطاقة الخضراء الصديقة للبيئة، وسوف تمثّل ٦٥٪ من القدرة المركبة للطاقة، بحلول عام ٢٠٣٥م، ونحو ٩٥٪ بحلول عام ٢٠٥٠م. كما ستنمو الطاقة الشمسية وطاقة الرياح بسرعة أكبر كثيرًا من الطاقة الكهرومائية؛ حيث سيأتي نحو ٧٠٪ من القدرة المركبة من الطاقة الشمسية، و٢٠٪ من طاقة الرياح، و١٠٪ من الطاقة المائية، بحلول عام ٢٠٥٠م. كما يمكن أن ينمو الطلب العالمي على الهيدروجين بمقدار سبعة أضعاف بحلول

عام ٢٠٥٠م، ومن الممكن أن يكون إنشاء تحالف الهيدروجين الأخضر الإفريقي في عام ٢٠٢٢م، والذي يسعى إلى تعزيز التعاون بين الدول المنتجة للهيدروجين، بمكانة دافع للاستثمار في مجال الهيدروجين الإفريقي.[٥٧] كما يزيد من فرص الاستثمار بالطاقة المتجدّدة، ما تتّسم به القارة الإفريقية بأعلى معدلات النمو السكاني، ومن المقرّر أن يتضاعف عدد سكانها بحلول عام ٢٠٥٠م، ليصل إلى أكثر من ملياري شخص. وستكون تلبية احتياجاتهم من خلال مصادر الطاقة المستدامة والفعالة، من حيث التكلفة، أمرًا حيويًّا للتنمية الاجتماعية والاقتصادية في القارة، وكذلك لتحقيق أهداف اتفاق باريس، خاصة في ظل افتقاد نحو ٦٠٠ مليون إفريقي للكهرباء (نحو نصف إجمالي السكان)، ومن المتوقَّع أن يرتفع هذا العدد إلى ١,٢ مليار بحلول عام ٢٠٥٠م، كما من المتوقَّع أن ينمو إنتاج التصنيع في القارة بأكثر من ٦٪ سنويًّا حتى عام ٢٠٢٥م على الأقل؛ ولذا تزاد احتياجات مصادر الطاقة النظيفة.[٥٨]

ويمكن للدول العربية المساهمة في تلك الاستثمارات، خاصة بما تملكه من خبرة تقنية وأموال، يمكن من خلالها تمويل تلك المشروعات ذات التكلفة المرتفعة.[٥٩] وهنا ظهرت مشروعات استثمارية عديدة في هذا المجال، منها شراكة الاتحاد الأوروبي مع دولة الإمارات العربية المتحدة، لتسريع تحوّل الطاقة في إفريقيا، وتطوير البنية التحتية. ويأتي ما يقرب من ١٥٪ من الكهرباء في غانا، من محطة كهرباء، مملوكة بأسلوب مشترك لهيئة نهر فولتا في غانا، ومجموعة طاق في أبوظبي. كما تعدّ شركة Yellow Door Energy، ومقرها دبي، أكبر مطوّر للطاقة الشمسية، الموزّعة للشركات التجارية والصناعية في جنوب إفريقيا. وقد أبرم جهاز قطر للاستثمار تحالفًا مع شركة المرافق الإيطالية إينيل (إينيل جرين باور) لتمويل وبناء وتشغيل مشاريع الطاقة المتجدّدة في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى. وفي عام ٢٠٢١م، استحوذت قطر أيضًا على حصة ٥٠٪ من مشاريع الطاقة المتجدّدة في جنوب إفريقيا وزامبيا. شرعت السعودية في كثير من المشاري ع الثنائية مع جنوب إفريقيا، على غرار تدشين محطة طاقة شمسية في جنوب إفريقيا، بلغت قيمتها نحو ٣٢٨ مليون دولار. كما وقَّعت المملكة العربية السعودية عدّة صفقات كبرى مع جنوب إفريقيا، تهدف إلى تطوير صناعة الهيدروجين الناشئة في البلاد، بالإضافة إلى الطاقات المتجدّدة الأخرى.[٦٠]

وبالإضافة إلى تلك الفرص الاستثمارية القطاعية في إفريقيا، فإن هناك أيضًا خطوات عديدة، ظهرت على الساحة الإفريقية، وقد تسهم في دفع مزيد من التعاون الاقتصادي العربي الإفريقي، سواء في مجال التجارة أو الاستثمار، ومنها ما يأتي:

- ظهور عدّة مشروعات اقتصادية تكاملية، منها إنشاء منطقة التجارة الحرة القارية الإفريقية، التي دخلت حيز التنفيذ في يناير عام ٢٠٢١م، وتتمتّع بإجمالي ناتج محلي إجمالي، يبلغ ٣,٤ تريليون دولار،

ومن المتوقّع أن إتمام خطوات المنطقة، سيكون له آثار إيجابية على معدّلات التجارة البينية الإفريقية، كذلك الاستثمارات، وسيفتح آفاقًا عديدة للتعاون العربي الإفريقي في مجالي التجارة والاستثمار.

- تفعيل واستكمال مشروع جسور التجارة العربية الإفريقية، الذي أُطلِق في عام ٢٠١٧م، من قبل المؤسسة الدولية الإسلامية لتمويل التجارة، وشركائها من المؤسسات المالية والتنموية الدولية والإقليمية، لتعزيز التجارة العربية الإفريقية، وتطوير قطاع الأعمال، وتعزيز قدرة المصدّرين الحاليين والجدد.
- منصة التجارة الرقمية العربية الإفريقية، التي أطلقها الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي، والتي تهدف إلى دعم الرقمنة في المجالات، التي تحقّق التنويع والتكامل الاقتصادي العربي الإفريقي، خاصة في ظل محدودية التجارة الإليكترونية في المنطقة العربية والإفريقية، مقارنة بباقي دول العالم. ويتضمّن المشروع إنشاء مراكز لوجستية بمواقع إستراتيجية، لتقديم الخدمات التكنولوجية والمالية والتشريعية اللازمة لحركة التجارة.[٦١]
- أنشأ الاتحاد الإفريقي، بالشراكة مع بنك التصدير والاستيراد الإفريقي Afreximbank، نظام المدفوعات والتسوية الإفريقي، لخفض التكاليف، وتسريع المدفوعات للمعاملات بين البلدان الإفريقية. وسيُربَط هذا النظام بنظام «بونا»، وهو نظام الدفع عبر الحدود، ومتعدّد العملات، المملوك لصندوق النقد العربي، والذي سيسمح للكيانات العربية والإفريقية بنقل الأموال بسهولة بين المنطقتين.[٦٢] وإذا تم ضم المنطقتين؛ منطقة التجارة الحرة الثلاثية ومنطقة التجارة الحرة العربية، فسوف تحقّق مكاسب اقتصادية كبيرة، وتسمح بإحراز تقدّم في التكامل الإقليمي، وتخلق فرص عمل منتجة، ودخلًا أعلى، وتساعد البلدان على إعادة التوجيه من السلع الأساسية إلى المصنوعات.[٦٣]

خاتمة

شهدت العلاقات العربية الإفريقية تطوّرًا ملحوظًا في العقد الأخير من القرن الحادي والعشرين، وبدأت اتجاهات جديدة في تلك العلاقة، قائمة بصفة كبيرة على سبل تنمية القارة، بما يحقّق المصالح المشتركة للطرفين. وكانت وما زالت المملكة العربية السعودية تسعى إلى تعزيز علاقة التكامل الاقتصادي مع القارة السمراء، بما يتلاءم مع المتغيّرات الاقتصادية العالمية والإقليمية المحيطة، وبما يخدم الرؤى التنموية للجانبين. ولا يمكن إنكار طبيعة التحدّيات التي تواجه إفريقيا، مثل: الظروف الاجتماعية في إفريقيا، والتوترات السياسية والأمنية، كذلك ضعف البنية التحتية، وغيرها من الظروف غير المواتية لدعم التعاون الاقتصادي مع العالم عمومًا، والدول العربية خصوصًا. ولكن يبقى على الدول العربية بذل المزيد من الجهود، التي يمكن من خلالها تعزيز سبل العلاقات الاقتصادية البينية، ومن هنا نوصي بالآتي:

- الاستمرار في توقيع الاتفاقات مع مختلف الدول الإفريقية، من أجل منع الازدواج الضريبي على رأس المال، والتهرب الضريبي، حتى يمكن تشجيع تدفّقات الاستثمار ورؤوس الأموال.
- استمرار إنشاء الدول العربية، بما في ذلك الدول الخليجية، لمكاتب التمثيل التجاري، والملحقيات التجارية، والمراكز اللوجستية، بمختلف الدول الإفريقية.
- بناء شراكات تجمع كلًّا من القطاعين: العام والخاص، العربي والإفريقي، في مشروعات تنموية مختلفة بالقارة.
- استغلال وجود بعض الدول العربية في بعض التكتّلات، التي تجمع دولًا إفريقية، مثل: الكوميسا والبريكس، لرسم سياسات، ووضع خطط للتعاون، في إطار تلك التكتّلات، بما يخدم مصالح وأهداف التنمية للجانبين.
- ضرورة إحياء وتفعيل مؤسسات العمل العربي الإفريقي، من أجل مواجهة التحديات المشتركة، وتحديد سبل المواءمة بين المؤسسات الإفريقية، ونظيرتها العربية، حتى يمكن التنسيق في المجالات محل الاختصاص.
- الاهتمام بمزيد من المنصات المعلوماتية عن التجارة والاستثمار في إفريقيا، بما يتيح فرص التعرف على مقوماتها في المجالات الاقتصادية المختلفة، وفتح آفاق أكبر للتعاون العربي الإفريقي، وهذا يتطلب أيضًا التعاون بين المؤسسات العربية والإفريقية.

الهوامش والإحالات

(1) Mohamed Chemingui and John Sloan, "Development Gains from Arab-African Trade Integration," *Economic Research Forum*, September 24, 2018, https://theforum.erf.org.eg/2018/09/24/development-gains-arab-african-trade-integration/.

(2) International Trade Centre (ITC), *Expanding Arab African Trade: Opportunities for Export Growth* (Geneva: ITC, 2023), 2-3, https://umbraco.exportpotential.intracen.org/media/afvfpryj/exportpotential_arabstates_in_africa_20230425.pdf.

(3) "New Boost for Arab-Africa trade?," *The Pan African Chamber of Commerce and Industry (PACCI)*, September 1, 2022, https://www.pacci.org/new-boost-for-arab-africa-trade/.

(4) Gareth Hodder, "Africa and the Gulf States herald a new era in trade and investment relations," *White & Case*, December 12, 2022, https://www.whitecase.com/insight-our-thinking/africa-focus-winter-2022-africa-and-gulf-states.

(5) Hodder, "Africa and the Gulf States herald a new era in trade and Investment Relations".

(6) "Saudi Arabia Supports African Union's Permanent Membership in G20," *The World Monitor*, June 28, 2023, https://www.theworldmonitor.com/saudi-arabia-supports-african-unions-permanent-membership-in-g20/.

(7) "IMF members increase contributions; Africa gets third seat on board," *The North Africa Post*, October 15, 2023, https://northafricapost.com/72084-imf-members-increase-contributions-africa-gets-third-seat-on-board.html.

(٨) «نمو متزايد للعلاقات الاقتصادية بين السعودية وإفريقيا»، العربية، (٩، نوفمبر، ٢٠٢٣م)، https://www.alarabiya.net/aswaq/economy/2023/11/09/نمو-متزايد-للعلاقات-الاقتصادية-بين-السعودية-وإفريقيا-.

(9) "Threats and Challenges to Trade in the Red Sea: Should Europe Be Concerned?" *Dryad Global*, May 24, 2023, https://channel16.dryadglobal.com/threats-and-challenges-to-trade-in-the-red-sea-should-europe-be-concerned.

(١٠) د. أيمن شبانة، «السياسة السعودية في إفريقيا.. المصالح والممارسات (دراسة)»، مركز فاروس للاستشارات والدراسات الاستراتيجية، (٢٩، مايو، ٢٠٢٠م)، https://pharostudies.com/السياسة-السعودية-في-إفريقيا-المصالح-و/.

(١١) «تقرير: تقرير السعودية وإفريقيا مقومات الشراكة ومكاسبها»، (الرياض، ملتقى أسبار، ٢٠٢٢م)، ٤، https://multaqaasbar.com/wp-content/uploads/2021/03/تقرير-السعودية-وإفريقيا-مقومات-الشراكة-ومكاسبها.pdf.

(12) Samir Bhattacharya, "Unravelling Saudi Arabia's grand vision for Africa," *Observer Research Foundation*, December 12, 2023, https://www.orfonline.org/expert-speak/unravelling-saudi-arabia-s-grand-vision-for-africa.

(13) Benjamin Auge, "Saudi Arabia's Policy in Africa: Vectors and Objectives," *French Institute of International Relations*, February 6, 2020, https://www.ifri.org/en/publications/editoriaux-de-lifri/lafrique-questions/saudi-arabias-policy-africa-vectors-and-0.

(١٤) شبانة، «السياسة السعودية في إفريقيا.. المصالح والممارسات (دراسة)».

(15) Ahmed Alqarout, "Saudi Arabia Pushes Ahead to Become a Global Mining Player," *Arab Gulf States Institute in Washington*, October 26, 2023, https://agsiw.org/saudi-arabia-pushes-ahead-to-become-a-global-mining-player/.

(16) Gracelin Baskaran, "Saudi Arabia Has a Strategic Advantage in Sourcing Critical Minerals from Africa," *Center for Strategic & International Studies*, December 5, 2023, https://www.csis.org/analysis/saudi-arabia-has-strategic-advantage-sourcing-critical-minerals-africa.

(17) Afshin Molavi, "Saudi Arabia promises 'game changing' Africa investments, with mining projects set to grow rapidly," *Al-Monitor*, December 11, 2023, https://www.al-monitor.com/pro/memos/saudi-arabia-promises-game-changing-africa-investments-mining-projects-set-grow-rapidly.

(18) Lisa Baertlein, "US, Saudi Arabia in talks to secure metals in Africa", *CNBC*, September 10, 2023, https://www.cnbc.com/2023/09/10/us-saudi-arabia-in-talks-to-secure-metals-in-africa-wall-street-journal-reports.html.

(19) Jonathan Fenton-Harvey, "Saudi Investment in Africa Surges as Iran's Influence Sputters," *Gulf International Forum*, January 5, 2023, https://gulfif.org/saudi-investment-in-africa-surges-as-irans-influence-sputters/.

(٢٠) «فخامة رئيس جمهورية غينيا يستقبل الرئيس التنفيذي للصندوق السعودي للتنمية،» الصندوق السعودي للتنمية، (١٥، نوفمبر، ٢٠٢٢م)، https://www.sfd.gov.sa/ar/n416.

(٢١) «جنوب إفريقيا.. أحد أبرز استثمارات السعودية في القارة السمراء،» تقارير الشرق، (١٠، نوفمبر، ٢٠٢٣م)، https://now.asharq.com/episode/جنوب-إفريقيا-أحد-أبرز-استثمارات-السعودية-في-القارة-السمراء.

(٢٢) (أيمن عزام، «إنشاء مجلس أعمال لضخ استثمارات سعودية بمليارات الدولارات في نيجيريا،» جريدة المال، (١٢، نوفمبر، ٢٠٢٣م)، https://almalnews.com/إنشاء-مجلس-أعمال-لضخ-استثمارات-سعودية/.

(23) Fatehelrahman Yousif, "Saudi Arabia, UAE Top Gulf Investments in Horn of Africa," Asharq Al-Awsat, April 5, 2022, https://english.aawsat.com/home/article/3574081/saudi-arabia-uae-top-gulf-investments-horn-africa.

(٢٤) «رئيس الجمهورية يرعى المنتدى الاقتصادي الجيبوتي السعودي،» سفارة جمهورية جيبوتي، (١٨، أبريل، ٢٠١٧م)، https://djibembaseg.com/2017/04/18/رئيس-الجمهورية-يرعى-المنتدى-الاقتصاد/.

(٢٥) «الصومال والمملكة العربية السعودية يوقعان بالأحرف الأولى اتفاقية تعاون في مجال الطيران،» مركز مقديشيو للبحوث والدراسات، (١٠، مارس، ٢٠١٦م)، https://mogadishucenter.com/2016/03/الصومال-والمملكة-العربية-السعودية-يو/.

(٢٦) د. أمينة العريمي،»الحسابات الخليجية في القرن الإفريقي،» مركز مقديشيو للبحوث والدراسات، (٢٢، مارس، ٢٠١٧م)، https://mogadishucenter.com/2017/03/الحسابات-الخليجية-في-القرن-الإفريقي/.

(٢٧) «ولي العهد السعودي يعلن عن استثمارات وتمويل بـ٤١ مليار دولار لأفريقيا،» الشرق، (١٠، نوفمبر، ٢٠٢٣م)، https://www.asharqbusiness.com/article/56856/ولي-العهد-السعودي-يعلن-عن-استثمارات-وتمويل-بـ-41مليار-دولار-لأفريقيا/.

(28) Auge, "Saudi Arabia's Policy in Africa: Vectors and Objectives".

(29) Auge, "Saudi Arabia's Policy in Africa: Vectors and Objectives".

(30) Amine Mati and Sidra Rehman, "Saudi Arabia's Economy Grows as it Diversifies," *IMF*, September 28, 2023, https://www.imf.org/en/News/Articles/2023/09/28/cf-saudi-arabias-economy-grows-as-it-diversifies.

(31) "Saudi Arabia Contributes USD$2m Towards Construction of new COMESA HQs," *COMESA*, July 24, 2023, https://www.comesa.int/saudi-arabia-contributes-usd2m-towards-construction-of-new-comesa-hqs/.

(٣٢) د. أيمن شبانة، «أهداف التوجه السعودي نحو إفريقيا،» (أبو ظبي: مركز المستقبل للدراسات المتقدمة، ٢٠١٦م)، https://futureuae.com/ara/Mainpage/Item/348/حراك-دبلوماسي-أهداف-التوجه-السعودي-نحو-قارة-إفريقيا.

(٣٣)) د. مادي إبراهيم كانتي، «العلاقات الخليجية – الإفريقية: الأولويات الفرص والتحديات،» مركز ترينذز للبحوث والاستشارات، (٩، يونيو، ٢٠٢٢م)، https://trendsresearch.org/ar/insight/العلاقات-الخليجية-الإفريقية-الأولوي/.

(34) Auge, "Saudi Arabia's Policy in Africa: Vectors and Objectives," 2-3.

(35) Mati and Rehman, "Saudi Arabia's Economy Grows as it Diversifies".

(٣٦) فدوى البواردي، «أهمية القمة السعودية الإفريقية والمؤتمر الاقتصادي السعودي العربي الإفريقي،» صحيفة مال، (٦، نوفمبر، ٢٠٢٣م)، https://maaal.com/2023/11/أهمية-القمة-السعودية-الإفريقية-والمؤ/.

(37) "Saudi EXIM Bank signs $185 mln deals with African banks, institutions," *argaam*, November 11, 2023, https://www.argaam.com/en/article/articledetail/id/1684058.

(38) "Saudi Arabia, African countries hold number of roundtable meetings to strengthen investment relations," *Saudi Gazette*, November 12, 2023, https://www.saudigazette.com.sa/article/637629.

(39) Stephen Angbulu, "S'Arabia to invest in Nigeria's refineries, support forex reforms," *Punch Nigeria*, November 11, 2023, https://punchng.com/sarabia-to-invest-in-nigerias-refineries-support-forex-reforms/.

- "Saudi Arabia plans to invest in Nigeria's oil refineries," *Arabian Gulf Business Insight*, November 13, 2023, https://www.agbi.com/article/saudi-arabia-plans-to-invest-in-nigerias-oil-refineries/.

(40) Samir Bhattacharya, "Unravelling Saudi Arabia's grand vision for Africa," *Observer Research Foundation*, December 12, 2023, https://www.orfonline.org/expert-speak/unravelling-saudi-arabia-s-grand-vision-for-africa.

(41) "Saudi Fund for Development Provides Over $580 Million in Development Loans to African Countries for Key Vital Projects," *Saudi Fund for Development*, November 9, 2023, https://www.sfd.gov.sa/en/n633.

(42) Bhattacharya, "Unravelling Saudi Arabia's grand vision for Africa".

(43) Marcus Vinicius de Freitas, *The Impact of Chinese Investments in Africa: Neocolonialism or Cooperation?* (Rabat: Policy Center for The New South, 2023), https://www.policycenter.ma/publications/impact-chinese-investments-africa-neocolonialism-or-cooperation.

(44) Teresa Nogueira Pinto, "Scenarios for Israel's role in Africa," *Geopolitical Intelligence Services AG*, November 19, 2021, https://www.gisreportsonline.com/r/israel-african-countries/.

(45) Parag Das, "Israel's Increasing Engagements in Sub-Saharan Africa," *Indian Council of World Affairs*, February 24, 2023, https://www.icwa.in/show_content.php?lang=1&level=1&ls_id=9132&lid=5931.

(46) "Fintech investment pours into Africa," *KPMG International Entities*, February 7, 2022, https://kpmg.com/xx/en/home/insights/2022/01/pulse-of-fintech-h2-2021-emerging-markets-africa.html.

(47) Níamh Curran, "Future of Fintech in Africa 2023: Data penetration could be improved with better infrastructure," *Finextra*, August 14, 2023, https://www.finextra.com/the-long-read/755/future-of-fintech-in-africa-2023-data-penetration-could-be-improved-with-better-infrastructure.

(48) Philip Rowan, et al., *FinTech in Uganda: Implications for Regulation* (Cambridge: Cambridge Centre for Alternative Finance, 2018), 34-36, https://www.jbs.cam.ac.uk/wp-content/uploads/2020/08/2018-ccaf-fsd-fintech-in-uganda.pdf.

(49) Mamello Nchake and Mohammed Shuaibu, "Investment in ICT infrastructure and inclusive growth in Africa," *Scientific African*, 17: 2022, https://ui.adsabs.harvard.edu/abs/2022SciAf..1701293N/abstract.

(50) "ICT Financing Needs and Trends," *The Infrastructure Consortium in Africa*, 2024, https://www.icafrica.org/en/topics-programmes/ict/.

(51) Ronak Gopaldas, "The challenges and opportunities of bridging Africa's digital divide," *Nanyang Technological University*, November 12, 2021, https://www.ntu.edu.sg/cas/news-events/news/details/the-challenges-and-opportunities-of-bridging-the-africa-s-digital-divide.

(52) Ope Babalola, "Digital Trade Key to Unlocking Africa's Economic Potential," *Webb Fontaine*, August 8, 2022, https://webbfontaine.com/2022/08/08/digital-trade-key-to-unlocking-africas-economic-potential/.

(53) "Top 6 Industries and Sectors to Invest in Africa," *ARISE IIP*, August 16, 2022, https://www.ariseiip.com/blog-top-6-industries-to-invest-in-africa/.

(54) "Vc-Backed Transport and Logistics in Africa- 2021 Market Map," *Baobab Network*, September 6, 2021, https://thebaobabnetwork.com/transport-and-logistics-market-map-2021/.

(55) Ndumiso Bhembe, "Logistics and Transportation Partnerships- Vital for Africa's Economic Modernization," *Synergy Consulting*, February 28, 2023, https://www.synergyconsultingifa.com/industry-knowledge/logistics-and-transportation-partnerships-vital-for-africas-economic-modernization.

(56) Hodder, "Africa and the Gulf States herald a new era in trade and investment relations".

(57) Hauke Engel, et al., " These are the key investment opportunities in Africa's energy sector," *World Economic Forum*, October 25, 2023, https://www.weforum.org/agenda/2023/10/investment-opportunities-africas-energy-sector.

(58) César Augier, et al, "Green energy in Africa presents significant investment opportunities," *McKinsey & Company*, October 17, 2023, https://www.mckinsey.com/capabilities/sustainability/our-insights/green-energy-in-africa-presents-significant-investment-opportunities.

(٥٩) كانتي، «العلاقات الخليجية – الإفريقية: الأولويات الفرص والتحديات».

(٦٠) منى المنجومي، «السعودية وجنوب إفريقيا توقعان ١٥ اتفاقا عسكريا واقتصاديا،» إندبندنت عربية، (١٦، أكتوبر، ٢٠٢٢م)، https://www.independentarabia.com/node/382501/اقتصاد/أخبار-وتقارير-اقتصادية/السعودية-وجنوب-إفريقيا-توقعان-15-اتفاقا-عسكريا-واقتصاديا.

«١١ اتفاقية سعودية – جنوب إفريقية في الطاقة والهيدروجين والخدمات اللوجستية،» الاقتصادية، (١٦، أكتوبر، ٢٠٢٢م)، https://www.aleqt.com/2022/10/15/article_2411366.html.

(٦١) الاتحاد العربي للاقتصاد الرقمي، «المنصة الرقمية العربية الإفريقية،» (٣٠، سبتمبر، ٢٠٢١م)، https://arab-digital-economy.org/ar_arab-african-digital-platform.

(62) Tom Collins, "Huge potential to boost Arab-Africa trade," *African Business*, November 25, 2021, https://african.business/2021/11/finance-services/huge-potential-to-increase-arab-africa-trade.

(63) Mohamed Chemingui and John Sloan, "Development Gains from Arab-African Trade Integration," *Economic Research Forum*, September 24, 2018, https://theforum.erf.org.eg/2018/09/24/development-gains-arab-african-trade-integration/.

تقارير

داعش في الصومال: بين المواجهة الأمنية والمنافسة التنظيمية

أمل مختار، باحثة متخصصة في شؤون التطرف والإرهاب، مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، القاهرة.

في منعطف جديد في مسار الصراع المسلح بين محوري التنظيمات الإرهابية في الصومال، أغار تنظيم داعش في الصومال ISS ضد قواعد حركة الشباب في معارك قوية خلال شهر أبريل عام ٢٠٢٤م في مدينة «بوصاصو» في الجزء الشمالي الشرقي للبلاد، في إطار معركة طويلة وشرسة، من أجل السيطرة على بونتلاند الصومالية.

ويأتي هذا التصعيد في الوقت الذي تشهد فيه الصومال على مدار العامين المنصرمين نشاطًا كبيرًا لمجهودات المواجهة العسكرية الحكومية للتنظيمات الإرهابية على نحو واسع، في إطار حملة كبيرة بدأت في أغسطس عام ٢٠٢٢م، ويخوضها الجيش الصومالي بالتعاون مع مجموعات عشائرية محلية، والقوات الأمريكية، لمواجهة التنظيمات الإرهابية، ونتج عنها استعادة القوات الصومالية ثلث الأراضي التي كانت تسيطر عليها حركة الشباب، بعد إعادة انتشار قوات مكافحة الإرهاب الأمريكية في الصومال في مايو عام ٢٠٢٣م، كما أسفرت هذه المواجهة أيضًا في يناير عام ٢٠٢٣م عن مقتل الزعيم الداعشي «بلال السوداني».

ومن جهة أخرى، فقد صدر في ديسمبر عام ٢٠٢٣م قرار من مجلس الأمن الدولي، برفع حظر الأسلحة المفروض على الصومال، والذي ظل ساري المفعول منذ أكثر من ٣١ عامًا. وهو القرار الذي سيمكن الحكومة الصومالية من بناء قوّاتها العسكرية وتعزيزها، خاصة في ظل تنفيذ الخطة التدريجية لانسحاب بعثة الاتحاد الإفريقي (أتميس) من الصومال، تاركةً المجال لتولّي القوات العسكرية الصومالية الوطنية هذه المهمة.

لكن تتعرض هذه النجاحات لبعض الانتكاسات منذ أواخر أغسطس عام ٢٠٢٣م، بعد هجمات حركة الشباب وتنظيم داعش المتكررة على الجيش الصومالي، وخاصة في منطقة جلجود وبونتلاند. وإلى جانب ذلك، وعلى الرغم من كون فرع داعش في الصومال من أضعف ولايات التنظيم قوة وعددًا، وقدرة على السيطرة الميدانية، نظرًا للمنافسة القوية مع حركة الشباب، إلَّا أنَّه فرع

يمثّل أهمية كبيرة بسبب إدارته لمكتب «الكرار»، الذي يعدُّ الممول الرئيس لأفرع داعش في إفريقيا وأفغانستان. وكذلك لما يقوم به فرع داعش في الصومال من دور إعلامي متنامٍ، لاجتذاب مجندين جدد من المقاتلين الأجانب داخل الصومال، وخاصةً من الإثيوبيين.

أولًا - خروج بعثة أتميس ATMIS من الصومال

وفقًا لخريطة الطريق التي وضعها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة، فمن المتوقّع أن يغادر ٤٠٠٠ جندي من قوات أتميس الصومال مع نهاية يونيو عام ٢٠٢٤م، بالإضافة إلى ٥٠٠٠ جندي خرجوا من البعثة العام الماضي في المرحلتين الأولى والثانية من الانسحاب، وهو الوضع الذي خلق فرصة أمام عناصر حركة الشباب لاستعادة بعض الأراضي.

مع نهاية ديسمبر عام ٢٠٢٣م، نفّذت بالفعل بعثة الاتحاد الإفريقي في الصومال «أتميس»، ومكتب الأمم المتحدة لدعم الصومال جزءًا كبيرًا من عملية الانسحاب التدريجي للقوات الإفريقية، الذي أُجِّل عدّة مرّات، استجابةً لطلب من الحكومة الفيدرالية الصومالية. وبهذا سُلِّمت المهمَّة الأمنية في ثماني قواعد عسكرية إلى القوات الصومالية.

أثار الرئيس الأوغندي يووري موسيفيني، ونظيره الكيني ويليام روتو، مسألة خروج قوات أتميس، وحذّرا بشدّة من خطورة هذا الأمر على خطط مواجهة الإرهاب في الصومال، وقال الزعيمان، اللذان تساهم بلداهما بقوات في أتميس، بعد اجتماع في مقر الرئاسة في نيروبي، يوم ١٦ مايو: إنهما يشعران بالقلق إزاء تهديد الإرهاب، وانعدام الأمن في الصومال.[١]

ومن الجدير بالذكر، أن هذا الموقف الإقليمي يحظى بتأييد بعض النخب المدنية في الصومال، والتي ترى ضرورة مراجعة الجدول الزمني لانسحاب البعثة الإفريقية، لتتماشى مع الوضع الأمني في البلاد.

على جانب آخر، وعلى الرغم من الانسحاب التدريجي لقوات أتميس في الصومال، إلَّا أن التصريحات الرسمية للبعثة تؤكد عدم تخليها عن تأمين بعض من البنى التحتية المهمة في الصومال، وعلى رأسها ميناء مقديشو، باعتباره مدخلًا حيويًّا لتأمين العاصمة، واعتراض الإمدادات التي تدعم التنظيمات الإرهابية.[٢]

ثانيًا - تقييم قوة تنظيم داعش في الصومال ISS

تأسَّس تنظيم داعش في الصومال أو (الدولة الإسلامية في الصومال ISS) عام ٢٠١٥م، على يد عبدالقادر مؤمن – المنشق عن حركة الشباب في إقليم بونتلاند – كان التنظيم الفرعي منذ تأسيسه أحد الجماعات الأضعف في القارة الإفريقية، ويكافح من أجل التوسع بأي شكل من الأشكال. وقد نجحت قوات الأمن الصومالية، في إضعاف التنظيم المحلي وإعاقته إلى حد كبير.[٣]

وخلال العامين الماضيين، أعلن تنظيم داعش في الصومال مسؤوليته عن عدد من العمليات الإرهابية، وعلى النحو الآتي: ٣٦ هجومًا في عام ٢٠٢١م، و٣٢ هجومًا في عام ٢٠٢٢م، معظمها في بونتلاند، والعاصمة مقديشو. وفي يناير وفبراير عام ٢٠٢٣م، نفّذ التنظيم خمس هجمات، وهي: على الطريق بين مقديشو وأفغوي، وفي بلدتي بلاي تادان ووادي جايل جنوب شرق مدينة بوصاصو بإقليم باري، وفي منطقة كاران في مقديشو، ضرب عدّة أهداف مثل: الشرطة الصومالية، والجيش الصومالي، وقوات الأمن في بونتلاند، والسياسيين. ونُفِّذت ثلاث هجمات في الفترة من ١ مارس إلى ١٨ أبريل عام ٢٠٢٣م، اثنتان منها في مقديشو، وواحدة في بلدة بيلي تادان، جنوب شرق بوصاصو في بونتلاند.[٤]

ولا يزال تنظيم داعش في الصومال يقوم بمحاولات مهمة ولافتة، للقيام بدور أكبر داخل الصومال، مستفيدًا من مستجدات الأوضاع الأمنية، وذلك من خلال استخدام أداتين مهمتين على النحو التالي:

١- استقطاب المقاتلين الأجانب من خلال توسيع دائرة الدعاية

في شهر يوليو عام ٢٠٢٢م، نشر تنظيم داعش في الصومال مقطع فيديو مدته ٢٥ دقيقة بعنوان «على طريق الفاتحين» باللغة الأمهرية، مع ترجمة باللغة العربية. الأمهرية هي اللغة الرسمية في إثيوبيا، ولكن يُتحدَّث بها أيضًا في أجزاء من إريتريا والصومال. وقد صُوِّر الفيديو بجودة عالية، ويظهر العمليات العسكرية والتدريبات والحياة اليومية لمقاتلي تنظيم داعش في الصومال، مع التركيز تركيزًا خاصًّا على المقاتلين الإثيوبيين في صفوفه، وهم يخضعون لتدريب عسكري، ويأخذون دورات فقهية. ويمثل الفيديو نداءً واضحًا للإثيوبيين والصوماليين والإريتريين الذين يتحدثون اللغة الأمهرية، للانضمام إلى تنظيم داعش.[٥]

وأحد أبرز التطورات الأخيرة في هذا المجال، هو ظهور «فرسان الترجمة»، وهي شبكة شاملة، تجمع بين مختلف وسائل الإعلام المتباينة والمتناثرة، المؤيدة لتنظيم داعش، وتضم المجموعة الجديدة مؤسسة «الهجرتين» للترجمة - تأسست في عام ٢٠٢٢م - وتقدم الدعاية باللغة الصومالية.

ووصفت دراسة أجراها معهد الحوار الإستراتيجي مؤسسة الهجرتين بأنها «المنفذ الرئيس لدعم تنظيم داعش في منطقة شرق إفريقيا». ومن المرجح أن يؤدي ذلك إلى توسيع نطاق تنظيم داعش في الصومال والفروع الإقليمية الأخرى من حيث التجنيد، وتوسيع قاعدة الدعم، وجمع الأموال.[٦]

إلى جانب مخططات استقطاب المجندين الإثيوبيين، استنادًا إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية في إثيوبيا، وارتفاع أعداد المهاجرين غير النظاميين، الباحثين عن فرص عمل من الدولة، تتجه أنظار دعاية داعش الصومال، لتجنيد المقاتلين الأجانب، إلى المكون اليمني أيضًا؛ فنجد داعش الصومال تنظّم عدّة برامج تدريبية للمجندين الجدد - المهربين من اليمن - في منطقة كالولا.[٧]

ويعود اهتمام داعش الصومال باليمنيين بالأساس، إلى الرغبة في الحصول على الأسلحة المهربة من الصراع الدائر في اليمن. حيث يحتاج اليمنيون بشدة إلى الحصول على الأموال، لمواجهة الظروف الاقتصادية شديدة الصعوبة لهم ولعائلاتهم، بسبب طول فترة الصراع، ومن ثم يبيعون الأسلحة المهربة لجميع الأطراف في الجانب الآخر من البحر الأحمر داخل الصومال. وهنا لا يهتم المهربون اليمنيون بما إذا كانوا يبيعون الأسلحة لحركة الشباب، أو داعش، أو جهاز الأمن الداخلي، أو أي شخص آخر يريد سلاحًا.

ومنذ عام ٢٠١٤م، أصبحت بوصاصو نقطة العبور الرئيسة للمهاجرين غير النظاميين، الذين يغادرون القرن الإفريقي إلى اليمن، بحثًا عن فرصة للهجرة إلى الشمال، وأملًا في حياة أفضل، حتى وإن كان بصورة غير قانونية. شهدت هذه المدينة الواقعة في شمال الصومال في الفترة من يناير عام ٢٠١٦ حتى أغسطس عام ٢٠١٧م، مرور أكثر من ١٧٠ ألف مهاجر غير نظامي من شرق إفريقيا إلى اليمن. وعلاوة على ذلك، وما بين مارس عام ٢٠١٥ وأغسطس عام ٢٠١٦م، سافر ٣٢ ألف شخص من اليمن إلى الصومال.[٨]

ومع الأخذ في الحُسبان استمرار هذا النزوح، فإن هذا الأمر يعطينا فكرة عن كم الفرص المتاحة لتجنيد المقاتلين الأجانب داخل صفوف كلٍّ من داعش، وحركة الشباب داخل الصومال. وبما أن حركة الشباب اعتادت على تفضيل المقاتلين المحليين، وداعش هي الأكثر انفتاحًا على المكون الأجنبي، بحكم أيديولوجية التنظيم المركزي، فإن داعش الصومال، يصبح مستفيدًا، ومهتمًّا بتوجيه دعاية قوية للمقاتلين الأجانب.

٢- لَعِبُ دورٍ تمويلي وسيط بين أفرع التنظيم

على الرغم من صغر حجم فرع تنظيم داعش في الصومال، إلَّا أنَّ المكتب الرئيس لتمويل أفرع تنظيم داعش في شرق إفريقيا، مقره الصومال، ويطلق عليه اسم مكتب «الكرار». ووفقًا لتقرير صدر في فبراير عام ٢٠٢٣م عن فريق المراقبة التابع للأمم المتحدة، لتتبع التهديد الإرهابي العالمي، كان مكتب الكرار يرسل تحويلات مالية إلى ولاية خراسان التابعة لتنظيم داعش (ISK)، يبلغ إجماليها نحو ٢٥٠٠٠ دولار شهريًّا بالعملة المشفرة.

وقد جاءت الضربة الكبيرة لمنظومة التمويل في تنظيم داعش في الصومال (ISS) في يناير عام ٢٠٢٣م، عندما داهمت قوات العمليات الخاصة الأمريكية مجمع كهوف جبلية نائية في شمال الصومال، وقتلت بلال السوداني أحد كبار عملاء داعش، ومسؤول مكتب الكرار، وصاحب الدور الرئيس في تمويل أفرع داعش وتوسعها في القارة الإفريقية.[٩]

وفي يوليو عام ٢٠٢٣م، أدرجت الولايات المتحدة، رئيس الشؤون المالية لتنظيم داعش في الصومال، عبدالولي محمد يوسف على لائحة الإرهاب، بينما كشفت «وزارة الخزانة الأميركية» بعض المعلومات حول القيادي الداعشي.

ووفقًا لوكالة NISA (National Intelligence and Security Agency وكالة المخابرات والأمن الوطنية)، فإنه في أواخر عام ٢٠١٥، وأوائل عام ٢٠١٦م، تلقّت داعش الصومال أموالًا وإمدادات من تنظيم داعش المركزي عبر اليمن، ولكن بحلول نهاية عام ٢٠١٦م، كان هذا الدعم المالي قد جفّ تمامًا، وهو الأمر الذي جعل التنظيم يعتمد على المساهمات الطوعية وغير الطوعية من السكان المحليين، حتى لو كان جمع هذه الأخيرة ينطوي على مخاطر تنفير دعمهم. ويشير الواقع إلى أن معظم رجال الأعمال في بونتلاند، يدفعون تبرعات مالية لدعم تنظيم داعش المحلي ماليًّا، على الرغم من أنه من الصعب معرفة من يفعل ذلك عن طيب خاطر، ومن يفعل ذلك تحت الإكراه.[١٠]

داعش في الصومال، لا تختلف عن حركة الشباب في ابتزاز وتهديد رجال الأعمال، وأصحاب الشركات، بهدف الحصول على تبرعات مالية، وهي أقرب ما تكون للإتاوات. وهناك عمليات مسجلة لارتكاب عنف شديد ضد أصحاب هذه الشركات، في حالة عدم الموافقة على دفع هذه الحصص المالية. وقد كشفت تقارير من بوصاصو في شمال شرق بونتلاند أن العديد من الشركات أُجبرت على الإغلاق، بسبب تهديدات جماعة داعش.[١١]

ويشير تقرير الأمم المتحدة لتتبّع التهديد الإرهابي العالمي – السابق ذكره – إلى أن تنظيم داعش في الصومال حقّق ١٠٠ ألف دولار شهريًّا، من خلال ابتزاز صناعة الشحن، والضرائب غير المشروعة.

وتكرر داعش في بونتلاند ما اعتادت حركة الشباب على القيام به، في وسط وجنوب الصومال، من عقد اتفاقات مع بعض شيوخ العشائر والمهربين، تسمح لهم بالعمل عبر البحر الأحمر، مقابل نسبة معينة من الأسلحة المهربة.

ثالثًا - الصراع مع حركة الشباب

في عام ٢٠١٢م، أرسلت قيادة حركة الشباب زعيمًا يتمتع بشخصية كاريزمية، وهو عبدالقادر مؤمن إلى بونتلاند، لتنفيذ حملة تجنيد واسعة النطاق، لإنشاء موقع استيطاني للفرع التابع لتنظيم القاعدة في شرق إفريقيا، في المناطق الجبلية النائية في شمال الصومال. ومع الصعوبات العملياتية والقيادية الشديدة التي واجهتها حركة الشباب في عام ٢٠١٤م، وجد مؤمن نفسه وحيدًا ومعزولًا، وهو يدير خلية حركة الشباب في بونتلاند، فقرّر مؤمن مبايعة أبو بكر البغدادي والدولة الإسلامية، في أكتوبر عام ٢٠١٥م. ثم شُكِّل داعش الصومال في أكتوبر عام ٢٠١٥م، ومن ثم أصبحت بونتلاند مقرًّا لأول جماعة مقاتلة عنيفة تحمل شعار: داعش في شرق إفريقيا.

١- الصراع المسلح بين حركة الشباب وداعش الصومال

بحلول نهاية عام ٢٠١٧م، نجحت حركة الشباب في إسكات جميع الأصوات المؤيدة لتنظيم داعش، والراغبين

في السفر إلى سوريا من داخل الحركة، وكانت حركة الشباب قد حصلت على أكبر منظر لها من المقاتلين الأجانب، وهو الكيني أحمد إيمان علي، المعروف أيضًا باسم أبو زنيرة، الذي أصدر فتوى تحذر من أن أي شخص يعارض حركة الشباب، سيُعَدّ مرتدًّا.[١٢]

وما بين ديسمبر عام ٢٠١٨ ومارس عام ٢٠١٩م، بدأت حرب شاملة بين تنظيم داعش في الصومال وحركة الشباب، في مواقع عديدة داخل الصومال. وفي أغسطس عام ٢٠٢١م، نفّذ مسلحو تنظيم داعش في الصومال عملية عسكرية كبيرة أخرى، واحتلوا ونهبوا بلدة باليدين (Balidhidin) في منطقة بونتلاند.[١٣]

٢- السيطرة على الأرض

حتى الآن لا يمكن اعتبار داعش الصومال تنظيمًا، على نفس درجة قوة وسيطرة حركة الشباب داخل الصومال، وذلك لسببين رئيسين: الأول – هو التفاوت الكبير في حجم مقاتلي كل جماعة، وهو الأمر الذي تحاول داعش تعويضه من خلال استقطاب المقاتلين الأجانب، كما سبقت الإشارة.

السبب الثاني – هو القدرة على السيطرة والتمركز في الأرض. وبلا شك، فإن حركة الشباب، لكونها أقدم، وكذلك لكونها مرتبطة بقوة بالمكونات العشائرية داخل الصومال، وخاصة العاصمة مقاديشو، قد جعلها تتمكن من توطيد وجودها على الأرض، وفي المقابل، فإن داعش الصومال، وعلى الرغم من وجودها في بونتلاند، إلَّا أنّها ما زالت داخل المناطق النائية، وليست داخل المدن، وتنقل مقاتليها بين الكهوف والمستوطنات، ولا يمكنها إقامة وجود عملياتي قابل للاستمرار. لذا، فإن هناك محللين يرون، أنه مهما حاولت تجنيد أشخاص من جميع أنحاء القارة، فهي في الحقيقة لا تملك قاعدة صلبة، يمكن من خلالها إظهار النفوذ والسلطة. وهو أمر، وإن كان واقعًا الآن، إلَّا أنَّه قد يكون قابلًا للتغير وفقًا لمستجدات أخرى، مثل: إضعاف الحكومة والجيش الصومالي أمام قوة حركة الشباب، وطردها من بعض أماكن تمركزها، فهل سيكون هذا فرصة، قد تستغلّها داعش في هذه الأماكن؟

كما أن الأمر مرتبط أيضًا بعلاقة حركة الشباب، وكذلك الأجهزة الأمنية، بالعشائر الصومالية، وواقع الأمر، أن العشائر لديها مخاوفها، وكما لديها خيبات أمل من كلا الطرفين، وهنا أيضًا قد يكون ذلك فرصة أخرى قد تستغلها داعش الصومال.

٣- العلاقة مع العشائر المحلية

الدور الذي تلعبه العلاقات العشائرية في الصومال أمر شديد الأهمية، ويلقي بظلال قوية جدًّا على الصراعات داخل الدولة. كما أنه لا يمكن غض الطرف عن أن الامتدادات العائلية والعشائرية، وعلاقات النسب، قد

يكون لها دور في التأييد أو الرفض، أكثر من عوامل أخرى كثيرة. وهذا ما يفسر قيام بعض رجال الأعمال بدعم وتمويل حركة الشباب، ليس لأسباب عقائدية، ولكن لانتماءات عائلية.

وعلى سبيل المثال، فقد تفاوضت حركة الشباب على صفقات مع العشائر المهيمنة في بعض هذه المناطق، ممّا تسبب في توقف السكان المحليين عن دعم الحكومة والقوات الدولية، في هجماتها على مواقع حركة الشباب، وذلك لأسباب تتعلق بخلاف من مشايخ العشائر هؤلاء، مع الحكومة الصومالية، على بعض الأمور الخاصة بالمصالح والسلطة، مع منافسيهم من العشائر الأخرى في المنطقة.

وجود داعش وقوتها، سواء في الشمال في بونتلاند، أو في الجنوب، تتوقّف أيضًا على العلاقة مع العشائر. وتعتمد داعش الصومال بصورة رئيسة على عشائر الأوغادييني/ الدارود، الذين يعيش الكثير منهم في جوبالاند، وقد عانوا على نطاق واسع عنف حركة الشباب. وينظر الأوغادينيون إلى حركة الشباب، على أنها منظمة لا تمثل مصالحهم، ولا تبالي بالمضايقات والاعتقالات الباطلة وحتى القتل، التي يتعرضون لها على أيدي الحكومة الصومالية.

أحد الأدلة على قوة تأثير المكون العشائري، هو أن عضوًا كبيرًا في حركة الشباب من عشيرة أوغادييني، حُلّت كتيبته المكونة من ٥٠٠ رجل، بسبب الاشتباه في تعاطفه مع داعش. وكان معظم رجاله من عشيرتي الأوغادييني والشيخال، وكانوا أكثر ولاءً له ممّا كانوا عليه لحركة الشباب. ولذلك قامت حركة الشباب بإعادة نشر هذه الكتيبة، وتوزيعها في مناطق متفرقة لحركة الشباب، ممّا يجعل من الصعب عليهم الانشقاق، أو التخطيط بأسلوب جماعي.[١٤]

ختامًا

على الرغم من أنّ تنظيم داعش في الصومال (ISS) قد بدأ تنظيمًا ضعيفًا، وما زال يواجه مشكلة رئيسة، وهي التفاوت الكبير بينه وبين التنظيم الأقدم، والأكثر سيطرة على الأرض، وهو حركة الشباب، والذي يعدّ السبب الرئيس في تحجيمه طوال هذه السنوات، إلّا أنّ داعش الصومال، يستمد أهميّته من موقعه في دولة الصومال، كبوابة مهمّة ورئيسة بين أفرع داعش في آسيا وإفريقيا، سواء على مستوى نقل الأموال أو السلاح، أو حتى فرص التجنيد، لكون الصومال منطقة عبور وانتقال للمهاجرين غير النظاميين، بين شرق إفريقيا واليمن، ذهابًا وإيابًا.

كما أن الحملة الأمنية الحكومية على حركة الشباب، قد يكون لها أثر في إعطاء مساحات جديدة لتنظيم داعش الصومال، لم تكن متاحة له من قبل.

من جانب آخر، ينصبّ الاهتمام الأمريكي بمواجهة الإرهاب في الصومال على حركة الشباب، باعتبارها الفرع

الأكبر والأهم لتنظيم القاعدة العالمي، وهو الأمر الذي يفسر كون الصومال استثناء من السياسة الأمريكية الحالية، القائمة على أساس تقليص الوجود العسكري الفعلي، لمواجهة التنظيمات الإرهابية في إفريقيا والشرق الأوسط. ففي مايو عام ٢٠٢٢م، تراجع الرئيس الأمريكي جو بايدن عن قرار سلفه دونالد ترامب، الذي اتخذه في اللحظة الأخيرة، بسحب القوات الأمريكية من الصومال. وقد بُني هذا الاستثناء على أساس الشعور الأمريكي بالقلق الشديد تجاه «حركة الشباب»، باعتبارها أكبر وأهم فرع لتنظيم القاعدة في العالم وليس في إفريقيا فقط. والقناعة الأمريكية، هي أن الحركة تمثّل خطرًا مباشرًا على المصالح الأمريكية في شرق إفريقيا، وخطرًا أيضًا قد يمتد إلى عمق الولايات المتحدة الأمريكية، إن لم يُحجَّم هذا التنظيم ويُواجَه. كل تلك المجهودات الوطنية والدولية لمواجهة الإرهاب المتمثّل في حركة الشباب في الصومال، قد يكون له أثر سلبي في تمدّد قوة ومساحة داعش الصومال.

الهوامش والإحالات

(1) Julius Barigaba, "Why Museveni, Ruto Want Atmis Exit from Somalia Revised," *The East Africa*, May 18, 2024, https://www.theeastafrican.co.ke/tea/news/east-africa/why-museveni-ruto-want-atmis-exit-from-somalia-revised-4627022.

(2) Julius Barigaba, "Why Turkey, Atmis Jostle for Control of Mogadishu Port," *The East Africa*, April 28 2024, https://www.theeastafrican.co.ke/tea/news/east-africa/why-turkey-atmis-jostle-for-control-of-mogadishu-port--4604956.

(3) Lucas Webber and Daniele Garofalo, "The Islamic State Somalia Propaganda Coalition's Regional Language Push," *CTC Sentinel*, 16: 4, 2023, 15, https://ctc.westpoint.edu/the-islamic-state-somalia-propaganda-coalitions-regional-language-push/.

(4) Daniele Garofalo, "Monitoring Jihadist Terrorism in Africa. Propaganda And Military Operations," *Daniele Garofalo Monitoring*, March 05, 2023, https://www.danielegarofalomonitoring.com/p/monitoring-jihadist-terrorism-in.

(5) Webber and Garofalo, "The Islamic State Somalia Propaganda Coalition's Regional Language Push".

(6) Moustafa Ayad, et al., Under-Moderated, *Unhinged and Ubiquitous: Al-Shabaab and the Islamic State Networks on Facebook* (London: Institute for Strategic Dialogue, 2022), https://www.isdglobal.org/wp-content/uploads/2022/06/Undermoderated-Unhinged-and-Ubiquitous-al-shabaab-and-islamic-state-networks-on-facebook.pdf.

(7) European Institute of Peace and The Global Strategy Network and Hiraal Institute, *The Islamic State in East Africa* (Brussels: European Institute of Peace, 2018), https://www.eip.org/wp-content/uploads/2020/07/Report_IS-in-East-Africa_October-2018-3.pdf.

(8) United Nations Office on Drugs and Crime, *Global Study on Smuggling of Migrants 2018* (Vienna: UNODC, 2018), https://www.unodc.org/documents/data-and-analysis/glosom/GLOSOM_2018_web_small.pdf.

(٩) لمزيد من التفاصيل برجاء الاطلاع على United Nations Digital Library، انظر:
United Nation, *Letter dated 13 February 2023 from the Chair of the Security Council Committee pursuant to resolutions 1267 (1999), 1989 (2011) and 2253 (2015) concerning Islamic State in Iraq and the Levant (Da'esh), Al-Qaida and associated individuals, groups, undertakings and entities addressed to the President of the Security Council* (New York: UN, 2023), https://digitallibrary.un.org/record/4002636?v=pdf.

(10) European Institute of Peace and The Global Strategy Network and Hiraal Institute, The Islamic State in East Africa.

(11) "ISIS Extortion Threats Force Business Closures in Bosaso, Somalia," *Garowe Online*, June 18, 2023, https://www.garoweonline.com/en/news/puntland/isis-extortion-threats-force-business-closures-in-bosaso-somalia.

(12) Christopher Anzalone, "The Resilience of al-Shabaab," *CTC Sentinel*, 9: 4, 2016, 13, https://ctc.westpoint.edu/the-resilience-of-al-shabaab/.

(13) "ISIS seizes key area in Somalia's Puntland after battle," *Garowe Online*, August 19, 2021, https://www.garoweonline.com/en/news/puntland/isis-seizes-key-area-in-somalia-s-puntland-after-battle.

(14) European Institute of Peace, The Global Strategy Network and Hiraal Institute, *The Islamic State in East Africa*.

القيادة السنغالية الجديدة: عوامل النجاح وعقبات الحكم

د. هارون باه، باحث في الشؤون الإفريقية، زيغنشور.

عاش المشهد السياسي السنغالي فترة حرجة قبل الانتخابات الرئاسية عام ٢٠٢٤م، لاختيار خامس الرؤساء بعد الاستقلال، سيما عقب أحداث مارس عام ٢٠٢١م، التي شهدتها البلاد، إثر ما عرف إعلاميًّا بـ «ملف سونكو ـ أجي صار» وتداعياته من حدَّة التوتر في الفضاء العام، بين أنصار النظام السابق، أيام الرئيس ماكي صال، والمعارضة الصلبة بقيادة حزب «بَاسْتِيف»، هذا من جهة، وبموجب سريان مدونة الانتخابات، وما ارتبط بها من تكريس مبدأ التزكية أو الرعاية، الذي يُلزم المرشح بالحصول على نسبة من الأصوات، لخوض الرئاسيات، وأُبعِد كثيرون عن المشاركة، نتيجة شرط التزكية؛ حيث بلغ المتقدمون للمنصب ٩٣ مرشحًا،[١] وأجاز المجلس الدستوري في آخر المطاف ١٩ متنافسًا فقط.

وقد مرَّت البلاد بأيام صعبة، كادت تعصف بالاستقرار «النسبي»، هذا في مقابل تسطير السنغاليين إرثًا سياسيًّا مجيدًا من التناوب السلمي على السلطة، ويعِزُّ عليهم ضياعه، بدءًا بالتجربة الأولى بين الرئيس عبده ضيوف، وخلفه الليبرالي عبدالله واد عام ٢٠٠٠م، والثانية بين الرئيس الثالث، والمنشق عنه ماكي صال عام ٢٠١٢م، وكانت الوقائع التي قادت وصول ماكي صال المنتهية ولايته إلى الحكم شبيهة إلى حدٍّ كبير بالمجريات السياسية مع خصومه قبل رحيله، إن لم تكن أشدّ وطأة؛ في إصرار من شرائح شعبية واسعة على تثليث التناوب عام ٢٠٢٤م، وتردّدت البلاد بين خيارين: إمَّا السقوط في مخاطر الفوضى، أو العودة إلى الجادة الديمقراطية ترسيخًا للمكاسب.

ومن هنا تأتي أهمية بلورة نهج سلمي، قائم على المواطنة والحوار الشامل، والتداول السلمي على السلطة، وكل القضايا المتعلقة أساسًا بتدبير الحكم وتقسيم الثروة، سعيًا للخروج من حالة عدم الاستقرار، التي ظلّت ثابتًا من ثوابت العمل السياسي الإفريقي وطنيًّا، والتبعية دوليًّا، بفعل تنافس القوى الكبرى على موارد القارة، وطبيعة النظام الاقتصادي العالمي.

ويمكن أن نتساءل في هذا المقال المقتضب، عن أسباب فوز حزب «الوطنيون من أجل العمل والأخلاق والأخوة/ بَاسْتِيف»، والعقبات التي قد تعترض الحكام الجدد.

أَولًا - أسباب فوز حزب جوماي ـ سونكو

وللتذكير؛ فإن الدينامية التي خلّفها الصراع على السلطة، خلال ثلاث سنوات مضت، ولدت نقاشات وطنية حادة، استلزمت استدعاء النصوص التشريعية وتأويلها، والاستقواء بالحلفاء تشبّثًا بالمكاسب، أو أَملًا بالظفر بها، وشارك أساتذة القانون عامة، وفقهاء القانون الدستوري بخاصة، وكذا القضاة، في إثراء قاموس الرأي العام بمصطلحات، كانت بعيدة عن أحاديثه وأسماره، ومنهم على سبيل المثال: فريق الدفاع عن عثمان سونكو، والأستاذ الجامعي انْغُودَا امْبُوبْ، وبعض الإعلاميين من ذوي الخلفيات القانونية، كـ دَاوُودَ مِينْ بقناة «ت إف أم TFM».

وتمخض عن الكر والفر الانتخابي، فوز حزب عثمان سونكو في الجولة الأولى، بنسبة تجاوزت الخمسين بالمائة، حسب صناديق الاقتراع، بمشاركة ما يزيد على سبعة ملايين ناخب من المواطنين، ولم ينتصف الليل إلا وقد شرع المتنافسون في تهنئة الفائز بشير جُومَايْ، مقرِّين بخسارتهم أمامه، ولأن الفارق كان بيِّنًا بين الأول ٥٤,٢٨ ٪ والثاني ٣٥,٧٩٪ فلم يكن بدٌّ من اعتراف أحمد باه بتقدّم الفائز، وإن أتى متأخرًا مقارنة بنظرائه.

ويمكن تقسيم عوامل النجاح إلى جملة من الأسباب، وعلى النحو الآتي:

١- سياسة التحالف الحاكم (BBY)

أ) طبيعة معاملة نظام ماكي صال لخصومه، سجنًا وفصلًا من الوظيفة، أو إبعادًا عن العاصمة، ثم الدعاية الحكومية المستمرة ضد عثمان سونكو، وحملة مشروعه عبر توجيه تهم من نوع أنهم «ضد المشيخة»، أو «الانتساب إلى فصائل متمردة» تارة، أو «الارتباط بقوى أجنبية». واستفادت المعارضة من توظيف أخطاء الرئيس ماكي صال لصالحها، وذلك من قبيل التطلع لولاية رئاسية ثالثة، قبل إعلان تراجعه عنها، والفساد،[٢] والاعتقال السياسي، والتضييق على الصحفيين، والتعامل العنيف مع المتظاهرة، ثم غلاء المعيشة، وضغط المطالب الاجتماعية (الأسعار، الكهرباء، التعليم، الصحة، تشغيل الشباب، الهجرة...)، وظلّت الأخطاء تطارد المرحلة الأخيرة من حكم الرئيس الرابع، وتجلَّى ذلك في تباطؤ دعم مرشح التحالف الحاكم، (BBY) إثر انسحاب ماكي صَالْ من السباق الرئاسي.[٣]

ب) أخذًا بالأبعاد الإجرائية والتنظيمية للجولة الرئاسية، فقد وقع الاختيار على شخصية متفق عليها نسبيًّا لوزارة الداخلية، ألا وهو محمد مختار سِيسَي، الذي تعهّد في أحد خطاباته بخدمة البلاد... ووضع مصلحة الوطن فوق الجميع... وإعادة الثقة بين الجميع،[٤] وهو ما ضمن سير انتخابات شفافة ونزيهة، كانت فيها المواجهات حالات استثنائية - كما التزوير - ولم تعقبها طعون من

أصحاب الحق، وعليه فقد اتضحت الخريطة الانتخابية قبل اليوم التالي للاقتراع، وهو ما اعترف به المرشح الفائز، شاكرًا لسلفه تنظيم انتخابات «نزيهة».

٢- قوة المعارضة الباسْتِيفِية: ظهرت قوة المعارضة الباسْتِيفِية في جوانب، منها:

أ) حماسة منتسبي الحزب للمشروع السياسي، وتمسكهم بقيم المواطنة ولوازمها، المرتبطة بممارسة الحقوق المدنية والسياسية، والسيادة داخليًّا وخارجيًّا، موازاة مع توجهات التيار الإفريقاني، والتضحية من أجل مبادئهم من مختلف الفئات العمرية، خصوصًا من الشباب، وقد سُجِّل عدد من الوفيات والجرحى في صفوفهم.

وممَّا يوحي بتعلّق الشباب بالقيادي سونكو، أنّه لّما طال حبسه، رفعوا شعار: «اشتقنا لك» ثم تم «تسييده» بإضافة سيّدنا إلى اسمه، ودعوته بـ «سيدنا عثمان»، ولّما استُبْعِد نهائيًّا من قائمة مرشحي رئاسيات ٢٠٢٤، بسبب إدانة جنائية، مردّها تهمة تشهير بحق وزير سابق، حسب حُكْمِ المحكمة، ردّدوا شعار: «سونكو هو جوماي والعكس».

ب) ثراء السجل التاريخي المعارض لأعضاء الحزب، علاوة على تبنّي وعود وشعارات «القطيعة مع الفساد ورموزه وحماية ثروات الشعب وممتلكاته»، وما مُؤَلَّفُ عثمان سونكو حول: «البترول والغاز في السنغال»، إلَّا إحدى هذه المحطات التي عزَّزت رصيده في الساحة السياسية.

ويجمع بين عدد من قيادات الحزب متابعة دراساتهم بالجامعات والمدارس العليا السنغالية، ونذكر منهم على سبيل المثال: بشير جوماي فاي المرشح الرئاسي البديل الفائز، عثمان سونكو، بيروم سُلَيْ جوب النائب البرلماني ثم الوزير...، وتعارف بعضهم برحاب الكليات، كما هو الحال بين سونكو، ووزير الطاقة الحالي بيروم سلي جوب المنحدر من مدينة تياس ـ التي شهدت تكوين أحزاب سياسية قبل الاستقلال ـ وقد التحقوا ثلاثتهم بالمدرسة الوطنية للإدارة على تَراخٍ في الزمن، ما يؤكد خلفيتهم الإدارية، بحكم الوظائف السامية التي شغلوها بمصلحة الضرائب، وسهل وجود قنوات تواصل فعالة.

ج) من القواسم المشتركة بين الأعضاء المؤسسين للعمل الحزبي وحلفائهم، الالتقاء حول فكرة «التحرر والاستقلال» وهو ما يذكِّر بتاريخ جيل الستينيات من القرن المنصرم؛ فإلى جانب التحالف الذي جمعهم باسمه الدال على طبيعة المعركة يِيوِي أَسْكَنْوِي «تحرير الشعب»، فإننا نلمس هذا النفس التحرري لدى شخصياته وقناعاتهم، فإن الوزير عبدالرحمن سار ـ رئيس جمعية النهضة والحرية والتنمية ٢٠١٢ ـ وزير الاقتصاد والتخطيط في الحكومة الجديدة، لا يتردد للحظة من انتقاد عملة[٥] «الفرنك الإفريقي»، الخانق للاقتصاد، والكابح للتنمية في نظرهم.

ولا ينبغي أن يغيب عن البال، أن مثل هذه الأفكار الإصلاحية بمفهومها الشامل، أصيلة في الاجتماع الإفريقي، ومن صميم فكره السياسي، وليست بمستوردة كما يتصوّر البعض؛ إذ إن تراث الشيخ سليمان راسين بال – على سبيل المثال لا الحصر– ناطق بتلك الحقيقة.[٦]

د) حسن التخطيط والتنظيم في المدن والقرى، سواء قبل حَلِّ الحزب أو بعده، وضِمْن تحالف «تحرير الشعب» أو خارجه، وكان قد فاز التحالف بمقاعد بلدية وبرلمانية عدّة، وبنسب محترمة في المحليات والتشريعيات السابقة.

هـ) قدرة «الوطنيون» على وضع المطلق السياسي المعهود في إطار النسبية، بدءًا بدور شبكات فرنسا الحاسم ماليًّا ودبلوماسيًّا في نتائج صناديق الاقتراع، علاوة على تحجيم «سلطة المال الفاسد»؛ حيث إن توزيع الأموال، ومحاولة شراء الذمم، لم يكونا فاعلين في توجيهات الناخبين. ثم أخيرًا خفوت صوت المؤسسة الدينية عمومًا في الشأن العام، وبمعنى آخر، فإن المواطنين صوَّتوا انطلاقًا من قناعاتهم السياسية، وليس استجابة لإملاءات أو توصيات شيخ، أو زعيم ديني.

وتنْتَظم كليات البرنامج السياسي في: «مشروع وطني مثلث الأضلاع: سيادة، عدالة، رفاهية»، الذي سيحلّ محلّ: «خطة السنغال الصاعدة PSE» مع رحيل رائدها الرئيس ماكي صال، وتميّزت الرؤية السياسية الناسخة، بتوصيف دقيق لمطالب قطاعات شعبية واسعة، ومناسبة للمرحلة التي تمرّ بها البلاد. ولم يَحُلِ السجن دون إشراف الرئيس المنتخب على خطة العمل السياسي، التي تضمّنت قضايا الساعة، ومنها:

- محاربة الفساد والرشوة، ويستدعي ذلك تفعيل الأجهزة الرقابية بأصنافها وأشكالها كافة، وتطبيق الحكم الرشيد بأوسع معانيه، ثم ترشيد الإنفاق العمومي، وتعزيز قيم الشفافية والنزاهة والمساءلة.
- تحقيق عدالة اجتماعية، وهو ما يقتضي إزالة الفوارق الاجتماعية والاقتصادية بين شرائح المجتمع، عبر العدالة الترابية، وتوزيع عادل للثروات، من خلال سياسات عامة تستجيب لآمال الناخبين.
- إصلاح اختلالات المؤسسة القضائية.
- إعادة النظر في الاتفاقيات الثنائية والمتعددة الأطراف «ترتيب أولويات السياسة الخارجية».
- تعزيز العمل الإفريقي المشترك، وتجسيد التضامن القاري.
- الإصلاح المالي والنقدي.

٣- موقف الشَّعب

أ) تطلعت الشعوب الإفريقية للتغيير والإصلاح، يتصدرها الشباب، منادية بالتحرر وفكّ التبعية مع

الاستعمار، وقطع سبيل الإمبريالية، وساعية إلى تقزيم دور فرنسا في مستعمراتها السابقة، لما لها من سوابق محفورة في الذاكرة الجماعية.

ب) إصرار أغلبية واضحة من الناخبين على رحيل النظام السابق، بعد استيفاء ولايتين رئاسيتين، والتي عبّر عنها في الحوار الأخير بعبارة موحية «سئمت الرئاسة»، وقد عبّرت عن ذلك قطاعات شعبية من أكاديميين، وقضاة، ومجتمع مدني، وطلبة، وإعلام، والجالية المغتربة، وغيرها، في مناسبات وبأشكال مختلفة، وهو ما انتهى أخيرًا إلى إدراك الرئيس حتمية الرحيل.

ج) دور المؤسسات الحكومية والشعبية في رسم المشهد السياسي، بعد كلّ أزمة تلوح في الأفق، أي: حيوية الحياة السياسية؛ إذ أجاز المجلس الدستوري ترشّح بشير جوماي فاي الأمين العام لحزب باستيف، على الرغم من سجنه منذ شهور، والحكم على عدم دستورية المرسوم الرئاسي القاضي بتأجيل الانتخابات عن موعدها، مع دعوة الرئيس إلى تنظيم الانتخابات في ظرف معقول.

٤- التراجع الملحوظ للدور الفرنسي

ثمّة تراجعٌ للنفوذ الفرنسي في دول الجوار عمومًا، وفي انتخابات الرئاسة السنغالية لعام ٢٠٢٤م خصوصًا، ما حدا بباريس إلى أن تمسك عصا أطراف النِّزال من الوسط، تحسُّبًا لأيّ تغيير يطرأ على مستوى قيادة البلاد، حماية لمصالحها. فالجيل الجديد من السنغاليين، كثيرًا ما يستدعون الأحداث المريرة للحقبة الاستعمارية، وما تلاها من تبعية وتدخّل مباشر وغير مباشر في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية من جانب فرنسا. ولعلّ من المفارقات، أن يترأس البلاد أحد أبنائها في سنّ ٤٤ (بشير جوماي الرئيس الحالي)، في الوقت الذي يتذكّر فيه السنغاليون وأشقاؤهم مرارة ما قام به المستعمر الفرنسي من جرائم، ضد سدنته الأفارقة من قوّات المشاة، في الحرب العالمية الثانية، بعد عودتهم من ساحتها، من تقتيل بثكنة تياروي ـ داكار عام ١٩٤٤م، حيث المقبرة العسكرية، ولم يكن جرمهم سوى المطالبة بمساواتهم مع نظرائهم المحاربين الفرنسيين.[٧]

ثانيًا - عقبات أمام الحكام الجدد

يقتضي الإصلاح الجذري مراجعة السياسات العامة في شتى المجالات، لتفادي تكرار الأخطاء، وتطوير المبادرات الناجحة، وتقويم الاعوجاج، ثم استشراف المستقبل على ضوء التغيرات الجارية، بطرح بدائل وحلول ترتقي بالبلاد، على الأمد المتوسط والبعيد، وهو ما يتطلب فترة زمنية معقولة. ويبقى الرهان على صبر الشعب. وفي جميع الأحوال، يبدو أن القيادة الجديدة واثقة من خطواتها نحو النجاح، وهو ما وعد به

زعيم باستيف أنصاره مع انعقاد أول اجتماع للمكتب السياسي على رأس البلاد، لكن ثَمَّة عقبات تعترض الحكام الجدد، ليست من جنس واحد، ومنها:

أ) تطبيق مبدأ الفصل بين السلط؛ إذ إن تشخيص الحالة الإفريقية، يقرر أن الكفة ظلت راجحة لصالح السلطة التنفيذية، وليس من قبيل المبالغة القول: إن الرئيس شكّل في الماضي «محور الدستور» وقطب رحاه، وقلب الحياة السياسية، وما إلى ذلك.[٨]

وممَّا يجدر التنبيه له هنا، هو أن الخبرة الديمقراطية السنغالية لا تزال فتية، ولَّما تتجذر معها ممارسات دستورية مشهودة؛ ممَّا يؤدي أحيانًا إلى صعوبة تكييف الوقائع القانونية، في ظلّ تضارب تأويلات فقهاء القانون، كما جرى حول تأويل نصوص دستورية في الماضي، وهذا يعني ضرورة تجنّب النزاع بين السلط قدر الإمكان؛ إذ قد يؤدي ذلك إلى طريق مسدود، في حال تمسّك كلّ طرف بموقفه، أو على الأقل، استحضار مبدأ المصلحة العامة حين وقوعه.

ب) القدرة على إدارة تنوّع الفريق السياسي، وعلى ضمان التوافقات الحزبية والسياسية، بما يحفظ وحدة العمل السياسي، وتوقي داء الأحزاب من غياب الديمقراطية والشفافية؛ ممّا يسبب انشقاقات داخلية تنتهي بالإخفاق والفشل، ويرتبط بذلك رعاية التوافق الثنائي الرئاسي سونكو ـ جوماي، والسهر على التمايز بين العمل الحكومي وأنشطة الحزب، فضلًا عن فصل الخطاب بين رئيس الحزب ورئيس الدولة.

وقد بادر الرئيس الجديد في يوم تنصيبه من قبل المجلس الدستوري في ٠٢/ ٠٤/ ٢٠٢٤م، بتوقيعٍ على مرسوم تعيين عثمان سونكو وزيرًا أول «الساعد الأيمن»، حيث تعدُّ شخصية الوزير الأول محوريةً في السياسات الإفريقية، والعمل الحكومي، نظرًا لما يناط بها من مسؤوليات، يمكن اعتبارها – من حيث الواقع – الشخصية الثانية في الدول الفرنكفونية ـ إن لم تنازعها وزارة الداخلية أحيانًا أو الدفاع ـ وهي محل ثقة الرئيس مبدئيًّا، ومسؤولة أمام الرئيس والبرلمان الذي يراقب عمل الحكومة دستوريًّا.[٩]

ج) القدرة على إنجاز الوعود، بما فيها تحقيق الاكتفاء الذاتي، وما يستتبعه من هيكلة القطاع الخاص، وبناء المقاولات الوطنية. وفي هذا المسعى، التقى الوزيرُ الأول رجلَ الأعمال سرين امبوب، لتدارس دور القطاع الخاص، وكيفية معالجة غلاء المعيشة، ثم استقبال أرباب العمل بالقصر الرئاسي بمناسبة عيد العمال ٢٠٢٤م، وهنا يبرز السؤال: هل سيكون بمقدور القطاع الخاص الوطني أو الإفريقي في الوقت الراهن، منافسة الأجنبي الغربي أو الآسيوي؟

د) ممَّا يقع بالأخص على كاهل كل المنادين بالقطيعة من أبناء القارة، بناء «النموذج التنموي الإفريقي»، وتشكّل قضية طرح البديل التحدي الأكبر أمام النخب الإفريقية، بعد حقبة الاستعمار، وإقامة صرح

الاتحاد الإفريقي، وبمعنى آخر، فإن نجاح مهمة «الوطنيون الأحرار» مرهونٌ بتحقيق الخطط الإنمائية، والتخفيف من معاناة الشعب، وتفادي السقوط في فخّ استبدال قوى كبرى بأخرى، تسعى لأمجادها الخاصة على حساب الدول الإفريقية.

فالقرار التنموي قرار سياسي بالدرجة الأولى، وذلك لارتباطه بتوجّهات الدولة وسياساتها، وخططها التنموية والاجتماعية، ومن المستبعد في الوقت الراهن، أن يكون بمعزل عن تكتلات ديمغرافية، وهياكل اجتماعية واقتصادية، ذات أثر ممتدّ في الحياة الإفريقية عامة، وبهذا فإن البداية تكون بالتشكّل الداخلي؛ سواء مع الوحدات الفرعية، أو المنظمات الإقليمية الفرعية.

فالسير بالعمل الإفريقي المشترك إلى أبعد حدوده ضرورةٌ من ضرورات السيادة؛ فلا استقلال إلَّا في ظلّ الاندماج والتكامل الإفريقي، أسوة بتجربة التكامل الأوروبي المعاصرة، ويشكّل تاريخ المنطقة سندًا داعمًا لاتحادات إقليمية فرعية متعددة (سنغامبيا الكبرى، اتحاد مالي..)، وصولًا إلى المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا، وهو فضاء جيوبوليتيكي، كفيل بتهيئة كل الظروف، لتثبيت أقدام دول المنطقة على المسرح الدولي، من موقع القوة والندية.

هـ) ارتفاع أصوات نسوية معارضة منذ البداية، مطالبة بزيادة أعدادهن في المناصب القيادية؛ إذ لم يتجاوزن ٤ وزيرات من مجموع ٢٥ وزيرًا، في تشكيلة حكومة عثمان سونكو، وهو ما فُسِّر بتراجع حقوق المرأة، وتمييز ضدهن. وتحاول الحكومة استدراك ذلك في التعيينات اللاحقة، ومنها تعيين امرأة ولأول مرّة على منصب نائب الديوان الرئاسي.

و) التحسّب للطوارئ الوطنية والدولية المفاجئة، على غرار جائحة كورونا عام ٢٠١٩م، ثم الحرب على أوكرانيا، والحرب الإسرائيلية على غزّة، وأزمات الجوار الإفريقي القريب والبعيد؛ إذ لهذه الأحداث انعكاس مباشر على الأوضاع الداخلية.

الخاتمة

على الرغم من مرور السنين، وتعاقب الرؤساء على الدول بعد الاستقلال، فلا يزال السنغاليون وغيرهم من أبناء القارة، يحملون الهموم والمشاغل نفسها، وهي التحرر من سيطرة الاستعمار، وسطو الإمبريالية الجاثمة على مقدّرات الشعوب، والمتنفذة في ممتلكاتها؛ فهناك تشابه كبير بين برنامج الحزب الإفريقي للاستقلال (PAI) ١٩٥٧، وحزب «الوطنيون من أجل العمل والأخلاق والأخوة/ PASTEF الذي تأسس عام ٢٠١٤»، حول قضايا الاستقلال، ومقاومة الاستعمار، وهو ما يعني أن طبيعة المعارك، تظل جامعة بين الأجيال على مرِّ الدهور.

الهوامش والإحالات

(1) "SENEGAL-POLITIQUE / Présidentielle 2024 : le Conseil constitutionnel déclare avoir reçu 93 dossiers de déclaration de candidature," *APS*, December 29, 2023, https://aps.sn/presidentielle-2024-le-conseil-constitutionnel-declare-avoir-recu-93-dossiers-de-declaration-de-candidature/.

(٢) وهو ما كشفت عنه تقارير صادرة عن أجهزة المراقبة، كمحكمة الحسابات، والمفتشية العامة للدولة، والمكتب الوطني لمكافحة الرشوة والفساد.

(3) Mouhamed CAMARA, "Ce qui s'est passé entre Macky Sall et Amadou Ba, Abdoulaye Saydou Sow avoue : "Macky m'a appelé et m'a dit..."," *Sene Web*, May 9, 2024, https://www.seneweb.com/news/Politique/ce-qui-s-est-passe-entre-macky-sall-et-a_n_440016.html.

(4) "Mouhamadou Makhtar Cissé, ministre de l'intérieur: "Le plus important reste le Sénégal"," *Dakaractu*, March 11, 2024, https://www.dakaractu.com/Mouhamadou-Makhtar-Cisse-ministre-de-l-interieur-Le-plus-important-reste-le-Senegal_a245570.html.

(5) Aminata SARR, "[1 jour, 1 ministre] Abdourahmane Sarr: un partisan de la souveraineté monétaire à la tête de l'économie," *Sene Web*, April 14, 2024, https://www.seneweb.com/news/Politique/abdourahmane-sarr-un-partisan-de-la-souv_n_438080.html.

(٦) للتوسع ينظر:
محمد سعيد باه، دولة الأئمة في فوتا تورو، تجربة إسلامية على ضفاف نهر السنغال، إحدى أنجح محاولات إحياء الدولة الإسلامية، (القاهرة: دار الاتحاد للطباعة، ٢٠١٠م).

(7) De Mamadou Albert Sy, "PASTEF au pouvoir : Une victoire de la gauche sénégalaise ?," *Dakaractu*, April 13, 2024, https://www.dakaractu.com/PASTEF-au-pouvoir-Une-victoire-de-la-gauche-senegalaise_a247052.html.

(٨) هارون باه، «سلطات الرئيس في الدساتير الإفريقية دراسة تحليلية،» قراءات إفريقية، العدد٥٦ (لندن: مجلة قراءات، ٢٠٢٣م)، ٤٩، https://qiraatafrican.com/wp-content/uploads/2024/01/سلطات-الرئيس-في-الدساتير-الإفريقية.pdf.

(٩) باه، «سلطات الرئيس في الدساتير الإفريقية دراسة تحليلية،» ٥٦.

المصالح الإيرانية في النيجر في مرحلة ما بعد انقلاب يوليو ٢٠٢٣ العسكري

أ. د. كمال محمد جاه الله الخضر، أكاديمي سوداني، القاهرة.

سعت إيران في مرحلة ما قبل الانقلاب العسكري في النيجر في يوليو عام ٢٠٢٣م إلى إقامة علاقات معها، وتسعى في المرحلة التي أعقبت ذلك الانقلاب إلى تسريع وتيرة تلك العلاقات وتعزيزها، وذلك لتحقيق جملة من الأطماع، في مقابل منافع يظفر بها النيجر، لا سيما بعد اتخاذه قرارات أبعد بها حزمة من نفوذ الغرب وأمريكا في البلاد.

ويحاول هذا المقال تسليط الضوء على الأطماع المتوقع أن تحقّقها إيران، في ضوء تعزيز علاقاتها مع النيجر، استثمارًا للأجواء التي تلت إبعاد النفوذ الغربي والأمريكي المؤثرين في البلاد، إضافة إلى تسليط الضوء على ما يمكن أن يتحقّق للنيجر من منافع ومصالح، جرَّاء علاقات غير متكافئة بين بلدين، بينهما تفاوت على جميع الأصعدة: السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

علاقات إيران والنيجر ما قبل انقلاب يوليو ٢٠٢٣ العسكري

لمعرفة طبيعة العلاقة بين إيران والنيجر في الفترة التي سبقت الانقلاب العسكري في النيجر، فإنّنا سنركّز فقط على إيراد بعض ما حفل به العقد الذي سبق هذا الانقلاب من أحداث، تبيّن طبيعة تلك العلاقة.

فقد شهد هذا العقد محطّات جوهرية في هذا المجال، لعل أهمها:

أولًا – زيارة الرئيس الإيراني الأسبق محمود أحمدي نجاد للنيجر، في منتصف أبريل عام ٢٠١٣م، وذلك في إطار التخطيط لزيارة ثلاث دول، هي: (النيجر، وبنين، وغانا)، بهدف تعزيز العلاقات السياسية والاقتصادية. وتحاول إيران الخاضعة لعقوبات اقتصادية، بسبب برنامجها النووي المثير للجدل، الحصول على دعم إفريقيا في الأمم المتحدة، خصوصًا بين الدول الإسلامية،[١] تلك العقوبات الغربية الأمريكية المؤثرة، التي تحاول إيران الانفكاك عنها.

وكان تقرير نشره معهد كارنجي الأمريكي، واتحاد العلماء الأمريكيين عام ٢٠١٣م، قد ذكر أن ندرة موارد إيران من اليورانيوم، وقلة جودتها، ستجبرانها على الاعتماد على مصادر خارجية لليورانيوم الطبيعي والمعالج.[٢] وفي النيجر متسع لحل مشكلة إيران في ما يخص اليورانيوم، إضافة إلى تحسين

اقتصادها، والاستفادة من علاقات إستراتيجية تقيمها مع النيجر، باعتبارها مفتاحًا للدخول إلى بوابة منطقة الساحل الإفريقي.

ثانيًا – زيارة وزير خارجية النيجر إلى إيران في نهاية أكتوبر وبداية نوفمبر عام ٢٠١٦م، وخلال هذه الزيارة، صرح وزير الخارجية الإيراني محمد جواد ظريف أن إيران تعمل على تطوير العلاقات مع الدول الإفريقية، وخاصة النيجر. وأشار إلى أن البلدين لديهما القدرة على التعاون في المجال الاقتصادي، بما في ذلك البنى التحتية، والنقل، والزراعة، والمناجم، والطاقة، والاستثمار،[٣] وكلها مجالات يفتقر إليها هذا البلد الإفريقي، على الرغم من أنه يحظى بموارد طبيعية، أشهرها اليورانيوم، الذي جعله هدفًا لقوى دولية وإقليمية.

ومن جانبه، واستثمارًا لتلك الأجواء التي هيأتها تلك الزيارة، أعرب وزير خارجية النيجر عن استعداد بلاده لتعزيز العلاقات مع إيران، وأضاف أن بلاده حريصة على إجراء المزيد من المشاورات والمحادثات السياسية مع إيران، مع استعداد النيجر لفتح سفارة في طهران،[٤] لتقوم بالدور المطلوب، في ظل علاقات متنامية بين البلدين.

ومن خلال ما استُعْرِض، نخلص إلى أن الأحداث، التي شهدها العقد الذي سبق انقلاب يوليو عام ٢٠٢٣م، تشهد على أن العلاقات بين إيران والنيجر ظلّت في تنامٍ وتطوّر مستمرّين، يتجلى ذلك في الزيارات الرسمية المتبادلة بين كبار المسؤولين في البلدين، وأن الطرفين يسعيان للانفتاح بعضهما على بعض، لتطوير العلاقات عبر المصالح المشتركة، مع الرغبة الأكيدة من الجانبين في الاستثمار، الذي أحرز الجانب الاقتصادي منه نصيب الأسد.

ومن جهة أخرى، فقد نُظِر – على الأقل من الغرب وأمريكا – إلى طبيعة العلاقات المتنامية بين البلدين، على أساس التطلّع الإيراني إلى الحصول على اليورانيوم، لتعويض احتياطاته المتناقصة، لإكمال المشروع النووي، كما فسرت تلك العلاقات بين البلدين، على أساس أنها ستكون مخلّصًا للنيجر من شركة (أريفا – Areva)، التي تحتكر إنتاج اليورانيوم النيجيري وتسويقه، ومخلِّصًا لإيران، ومخفِّفًا من الضغوط الغربية عليها؛ وعلى ذلك، فلن تكون هذه العلاقات مقبولة بأي حال من الأحوال، من قبل القوى الغربية، لا سيما فرنسا وأمريكا، وهو ما سنأتي على توضيحه لاحقًا.

هذا ما كان من أمر العلاقات بين إيران والنيجر، قبل انقلاب يوليو عام ٢٠٢٣م، فما طبيعة تلك العلاقات بين البلدين، بعد هذا الحدث المهم، وما تبعه من تداعيات؟

علاقات إيران والنيجر بعد انقلاب يوليو ٢٠٢٣ وما تبعه من تداعيات

شهد النيجر انقلابًا عسكريًّا على السلطة الحاكمة المنتخبة ديمقراطيًّا في يوم ٢٦ يوليو عام ٢٠٢٣م، وأُبعِد بموجب هذا الانقلاب الرئيس محمد بازوم من منصبه، وتبع ذلك احتجازه، وعلى الرغم من معارضة هذا

الانقلاب إقليميًّا ودوليًّا، إلَّا أنّه -بحكم الأمر الواقع- استطاع أن يسيِّر أمور البلاد بتشكيل مجلس عسكري، كما تفعل الانقلابات الشبيهة على مستوى إفريقيا عمومًا، وعلى مستوى منطقة الساحل خصوصًا.

عُرف عن الرئيس المنقلب عليه محمد بازوم أنَّه كان منتخبًا ديمقراطيًّا، وكانت تربطه علاقات وثيقة بدول غربية، في مقدمتها فرنسا، القوة الاستعمارية السابقة للبلاد.[٥] وفي أعقاب الانقلاب عليه، أعلن الكثير من الدول الغربية وقف مساعداتها لنيامي، بينما فرضت المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (إكواس) عقوبات عليها.[٦] ولكن، وعلى الرغم من تلك المواقف، استطاع المجلس العسكري امتصاص الصدمات المتوقعة، جرّاء ما يتبع الانقلابات عادة من كوابح، تحاول إثناء منفّذيها عن التمادي في الخروج على السلطات المنتخبة.

وبعد ثلاثة أشهر من الانقلاب، وبين يديّ زيارة إلى طهران، قام بها وزير الخارجية النيجري المعين من قبل المجلس العسكري الحاكم في نيامي بكاري ياو سانغاري، الذي قام بزيارة إلى طهران في ٢٥ أكتوبر عام ٢٠٢٣م،[٧] أعلن الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي أن إيران مستعدّة للتعاون مع النظام العسكري الحاكم في النيجر. وأكد استعداد طهران للتعاون مع نيامي، خصوصًا في المجالات الاقتصادية.[٨]

ويأتي ذلك الإعلان وذلك التأكيد من الرئيس الإيراني في أعقاب الانقلاب؛ حيث أعلن كثير من الدول الغربية وقف مساعداتها لنيامي، بينما فرضت المجموعة الاقتصادية لدول غرب إفريقيا (إكواس) عقوبات عليها.[٩] ممّا يؤكد أنّ إيران تستثمر المناخات التي تعقب الانقلابات في منطقة الساحل، لتحقيق أطماعها. وقد أصبحت تلك المناخات مهيّأة لإيران، حيث تبرز أجندة التحلّل من الهيمنة الغربية (الفرنسية بخاصة والأمريكية)، وذلك كفيل بإغراء إيران بتعزيز علاقتها مع دول الساحل، لا سيما النيجر، إضافة إلى السعي للظفر بمكاسب تكتنز بها تلك البلاد.

وتتوفر جملة من الدوافع، التي تقف خلف إعلان إيران استعدادها لتعزيز العلاقات مع النيجر في هذا التوقيت (ما بعد انقلاب يوليو ٢٠٢٣)، يتمثل أبرزها فيما يأتي:[١٠]

أولًا - ملء الفراغ بعد الانسحاب الفرنسي؛ حيث أعلنت باريس عن سحب قواتها من نيامي، وإعادة التمركز في تشاد.

ثانيًا- دعم التعاون الاقتصادي الثنائي، وذلك حين أبدى الرئيس إبراهيم رئيسي استعداد بلاده للتعاون مع نيامي، في المجال الاقتصادي.

ثالثًا- إبرام صفقات عسكرية في إفريقيا؛ إذ لا تخفي إيران اهتمامها بتوسيع نطاق مبيعاتها العسكرية إلى دول القارة الإفريقية. وهو هدف إستراتيجي، تسعى الصناعات العسكرية الإيرانية إلى تحقيقه.

وعلى ذلك، فيمكن القول، مبدئيًّا: إن فترة ما بعد الانقلاب العسكري في النيجر، أفسحت المجال لإيران لتعزيز علاقاتها مع النيجر، لا سيما أن واحدة من أجندات هذا الانقلاب، تمثّلت في التحلّل من هيمنة الدول الغربية،

وعلى وجه الخصوص فرنسا، إضافة إلى أمريكا، اللتين تمتّعتا بفرص أوسع في عهد محمد بازوم، وما قبله؛ فخلت الأجواء لإيران، عبر دوافع محدّدة، لتعزيز علاقاتها مع النيجر، ويقف في مقدمة تلك الدوافع: ملء الفراغ بعد الانسحاب الفرنسي، ودعم التعاون الاقتصادي الثنائي، وإبرام صفقات عسكرية في إفريقيا، وفي مجملها أطماع لإيران، تحاول تحقيقها مستقبلًا.

أمّا الشواهد التي تدل على أن تطورًا مهمًّا، وتعزيزًا جوهريًّا، حدثا على مستوى العلاقات بين إيران والنيجر في مرحلة ما بعد الانقلاب، فهناك عدّة محطات تعكس تطور العلاقات وتعزيزها بين البلدين في مرحلة ما بعد الانقلاب العسكري، ولعلّ أهمّها:

أولًا – شهد يوم ٢٥ أكتوبر عام ٢٠٢٣م زيارة وزير الخارجية المعين من قبل المجلس العسكري بكاري ياو سانغاري لإيران، كما أُشير من قبل. وفي هذه الزيارة، حيّا الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي مقاومة الشعب النيجري في مواجهة الهيمنة الأوروبية،[١١] وفي هذا إشارة واضحة عن وقوف إيران مع الإجراءات التي اتّخذها النيجر، للانفكاك من الهيمنة الفرنسية والأمريكية بُعيد الانقلاب.

ثانيًا – في يوم ٢٤ يناير عام ٢٠٢٤م، زار رئيس وزراء النيجر علي لامين زين إيران زيارة رسميّة، تلبية لدعوة النائب الأول للرئيس الإيراني، حيث بُدئ في محادثات ثنائية حول آليات توسيع العلاقات، ورفع مستوى التعاون الاقتصادي بين البلدين. وفي ختام المباحثات، وقّع رئيس الوزراء وأعضاء الوفد النيجري الزائر، مذكرات للتفاهم في القضايا ذات الاهتمام المشترك، مع كبار المسؤولين الإيرانيين، برعاية محمد مخبر النائب الأول لرئيس الجمهورية الإسلامية.[١٢]

ثالثًا – شهد يوم ٢٣ فبراير عام ٢٠٢٤م زيارة رسمية لمساعد وزير خارجية إيران للشؤون الدبلوماسية والاقتصادية مهدي صفري للنيجر، حيث التقى رئيس الوزراء النيجري علي لامين زين، على رأس وفد اقتصادي في العاصمة النيجرية نيامي. وكان غرض الزيارة التعاون الثنائي في مجالات: الطاقة، والكهرباء، والصحة، والمعدات الطبية، والسكك الحديدية، والخطوط الجوية، والنقل.[١٣]

وفي سياق تلك الزيارة، أوضح مهدي صفري، أن إيران وضعت على جدول أعمالها خطة لبناء عدة محطات للطاقة في النيجر، كخطوة أولى للتعاون الثنائي، ومن جهته، وفي إطار الزيارة ذاتها، أبان سفير إيران لدى النيجر مهدي كاردوست، أنه تُوصِّل إلى اتفاقيات في مختلف المجالات الاقتصادية، خاصة بناء محطات الكهرباء، وبدء عملية تنفيذها.[١٤]

رابعًا – في ٢ مارس عام ٢٠٢٤م، عُيِّن أول سفير للنيجر لدى إيران بقرارٍ اتّخذ في اجتماع المجلس الوزاري النيجري، الذي انعقد في التاريخ المشار إليه، واسم السفير هو «سيدو زاتو علي»،[١٥] ممَّا أحدث نقلة في العلاقات الدبلوماسية بين البلدين.

خامسًا - شهد يوم ١٨ مارس عام ٢٠٢٤م الكشف عن صفقة مرتقبة بين المجلس العسكري في النيجر وإيران، تمكّن من الوصول إلى احتياطيات النيجر من اليورانيوم، في خطوة أثارت قلق مسؤولين أمريكيين وفرنسيين.[١٦]

وعلى الرغم من نفي النيجر، فإن أوساطًا أمريكية وغربية، أكّدت حصولها على معلومات استخباراتية، تشير إلى أن المجلس العسكري في نيامي، يدرس إبرام صفقة مع إيران، من شأنها أن تمنح إيران إمكانية الوصول إلى بعض احتياطيات اليورانيوم الهائل. ومع أن هذه الصفقة بين البلدين لم تعقد بشكل نهائي، فإن مسؤولين غربيين يؤكدون أن المحادثات بين نيامي وطهران، بشأن هذا الملف، وصلت إلى مرحلة متقدمة للغاية.[١٧]

وفي السياق ذاته، كتبت صحيفة «وول ستريت جورنال» الأمريكية تقريرًا، أشارت فيه إلى أن قرار النيجر إنهاء تحالفها مع واشنطن، جاء بعد أن اتهم مسؤولون أمريكيون المجلس العسكري في البلاد، بالبحث سرًّا في اتفاق بشأن اليورانيوم مع إيران.[١٨] وهو ما ترى فيه أمريكا التفافًا على العقوبات، التي تصلي بها إيران، للحيلولة دون امتلاكها لسلاح نووي.

وتجدر الإشارة إلى أن الاتفاق بين أمريكا والنيجر المشار إليه -أُلغي في مارس ٢٠٢٤م-[١٩] كان بين الطرفين عام ٢٠١٢م، وهو اتفاق عسكري، ترتّب عليه وجود نحو ١١٠٠ جندي في النيجر، كما لديها قاعدة كبيرة للمُسيَّرات في أغاديز (شمال البلاد).[٢٠] وتقوم أمريكا بكل ذلك تحت مظلّة ما يسمى: مكافحة الإرهاب في غرب إفريقيا.

يستنتج ممّا عُرض أن هناك شواهد عديدة، أغلبها زيارات رسمية متبادلة بين مسؤولين كبار في إيران والنيجر، تدل على أن العلاقات بين البلدين قطعت شوطًا كبيرًا في التعزيز، خلال الفترة التي أعقبت الانقلاب العسكري في النيجر، وأن إيران تعززت ثقتها بالنيجر، بعد انفكاكها عن الهيمنة الغربية (فرنسا) والأمريكية. كما أن النيجر استفادت في العديد من المجالات الاقتصادية والتنموية. وإضافة إلى ذلك، فسوف يحقق البلدان مصالح مشتركة، عبر توقيع مذكرات للتفاهم حول القضايا ذات الاهتمام المشترك، المتوقع تنفيذها لاحقًا. وعلى الرغم من كل ذلك، فلا يمكن تجاهل أن إيران، ومن خلال ما شهده البلدان من تعزيز للعلاقات، سوف يفتح لها الباب واسعًا لتحقيق العديد من الأطماع.

غير أن هذه العلاقات المتنامية بين البلدين، دبلوماسيًّا واقتصاديًّا على وجه الخصوص، أصبحت مباشرة تحت مرمى القوى الدولية، التي فقدت نفوذها في النيجر عقب الانقلاب، بعد طرد القوات الفرنسية، وفض التحالف مع أمريكا الموقّع عام ٢٠١٢م، لمحاربة الإرهاب في غرب إفريقيا. وسيظل النفوذ الإقليمي للقوى الغربية يمثل العقبة الكبرى، التي قد لا تقدر مثل هذه العلاقات - بين إيران والنيجر - على تخطيها في الوقت الراهن.

استنتاجات واستشرافات

تسعى النيجر في علاقتها مع إيران إلى الاستفادة في بعض المجالات، مثل: الطاقة، والكهرباء، والصحة، والمعدات الطبية، والبنية التحتية... وغيرها. وفي المقابل، تتطلع إيران لتحقيق جزء كبير من أطماعها في الموارد الطبيعية في النيجر، وفي مقدمتها اليورانيوم، لإكمال مشروعها النووي. كما يمكن للنيجر أن تصبح نقطة ارتكاز لبيع الصناعات العسكرية الإيرانية في منطقة الساحل، المتعطشة لمثل تلك الصناعات، وهذا من شأنه أن يعمل على تقوية الاقتصاد الإيراني المأزوم.

أمَّا فيما يخص التحديات المتوقع أن تواجهها مسيرة العلاقات بين البلدين فتتمثّل أولها في مدى قدرة إيران على الاستفادة من يورانيوم النيجر في صناعاتها النووية، رغم العقوبات الدولية، وموقف الدول الغربية – من الملف النووي الإيراني – والتي لها حضور قوي في إفريقيا عمومًا. وأما من جهة النيجر، فإن تلك القوى الغربية، ستظل تتحسر على ما فقدته من نفوذ تاريخي قوي في البلاد، عطَّله المجلس العسكري الحاكم، وتحاول استرجاعه، أو التعويض عنه بطرق أخرى، وفي بلدان مجاورة.

وإضافة إلى ذلك، يمثل المتغير الإقليمي تحدّيًا بارزًا لا يمكن تجاوزه بسهولة، لصعوبة الاستقلالية في القرارين: السياسي والاقتصادي، في وسط إقليمي غير مشجع. وعلينا أن لا ننسى التفاوت الاقتصادي والاجتماعي والتنموي بين البلدين، الذي يعدّ تحدّيًا لا يمكن تجاوزه. وعلاوة على ذلك، فمهما قيل عن تعزيز العلاقات بين البلدين، إلَّا أنّها تظلّ علاقات في بداياتها الأولى، مقارنة بعمر العلاقات، التي يقاس عليها بين البُلدان.

الهوامش والإحالات

(١) «أحمدي نجاد في زيارة لعدد من الدول الإفريقية لـ'تعزيز العلاقات' السياسية والاقتصادية،» فرانس ٢٤، (١٤، أبريل، ٢٠١٤م)، https://www.france24.com/ar/20130414-الرئيس-الإيراني-طهران-جولة-إفريقية-نجاد-يورانيوم-اقتصاد.

(٢) «إيران تقول إنها اكتشفت احتياطيات ضخمة من اليورانيوم،» رويترز، (١٣، سبتمبر، ٢٠١٥م)، https://www.reuters.com/article/idUSKCN0RC0GR

(٣) «وزير الخارجية الإيراني يلتقي رئيس جمهورية النيجر،» مهر للأنباء، (٢٧، أغسطس، ٢٠١٧)، https://ar.mehrnews.com/news/1877449/وزير-الخارجية-الإيراني-يلتقي-رئيس-جمهورية-النيجر.

(٤) «وزير الخارجية الإيراني يلتقي رئيس جمهورية النيجر».

(٥) «إيران تعلن استعدادها للتعاون مع النظام العسكري الحاكم في النيجر،» الشرق الأوسط، (٢٥، أكتوبر، ٢٠٢٣م)، https://aawsat.com/شؤون-إقليمية/٤٦٢٨٢٦١-إيران-تعلن-استعدادها-للتعاون-مع-النظام-العسكري-الحاكم-في-النيجر.

(٦) «إيران تعلن استعدادها للتعاون مع النظام العسكري الحاكم في النيجر».

(٧) حمدي بشير، «تعزيز الدور: لماذا تسعى إيران للتعاون مع المجلس العسكري في النيجر؟،» الحائط العربي، (٣٠، أكتوبر، ٢٠٢٣م)، https://arabwall.com/لماذا-تسعى-إيران-للتعاون-مع-المجلس-الع/.

(٨) «إيران تعلن استعدادها للتعاون مع النظام العسكري الحاكم في النيجر».

(٩) «إيران تعلن استعدادها للتعاون مع النظام العسكري الحاكم في النيجر».

(١٠) بشير، «تعزيز الدور: لماذا تسعى إيران للتعاون مع المجلس العسكري في النيجر؟».

(١١) «إيران تعلن استعدادها للتعاون مع النظام العسكري الحاكم في النيجر».

(١٢) «مخبر يستقبل رئيس وزراء النيجر في مجمع سعد آباد التاريخي الثقافي،» مهر للأنباء، (٢٤، يناير، ٢٠٢٤م)، https://ar.mehrnews.com/news/1940660/مخبر-يستقبل-رئيس-وزراء-النيجر-في-مجمع-سعد-آباد-التاريخي-الثقافي.

(١٣) «إيران تبني محطات لتوليد الطاقة في النيجر،» إيران برس، (٢٣، فبراير، ٢٠٢٣م)، https://arabic.iranpress.com/إيران-تبنى-محطات-لتوليد-الطاقة-في-النيجر.

(١٤) «إيران تبني محطات لتوليد الطاقة في النيجر».

(15) "Communiqué Du Conseil Des Ministres Du Samedi 02 Mars 2024," *ActuNiger*, Mars 3, 2024, https://www.actuniger.com/politique/19950-communique-du-conseil-des-ministres-du-samedi-02-mars-2024.html.

(١٦) «النيجر وإيران بصدد إبرام صفقة تثير مخاوف أمريكا والغرب،» شفق نيوز، (١٨، مارس، ٢٠٢٤م)، https://shafaq.com/ar/عربي-ودولي/النيجر-و-إيران-بصدد-إبرام-صفقة-تثير-مخاوف-امريكا-والغرب.

(١٧) «تقرير: مفاوضات سرية مع إيران بشأن اليورانيوم وراء إنهاء النيجر تحالفها مع واشنطن،» ميدل ايست نيوز، (١٨، مارس، ٢٠٢٤م)، https://mdeast.news/ar/2024/03/18/تقرير-مفاوضات-سرية-مع-إيران-بشأن-اليور/.

(١٨) «تقرير: مفاوضات سرية مع إيران بشأن اليورانيوم وراء إنهاء النيجر تحالفها مع واشنطن».

(١٩) «'بمفعول فوري' النيجر تلغي اتفاق التعاون العسكري مع واشنطن،» *DW*، (١٧، مارس، ٢٠٢٤م)، https://www.dw.com/ar/بمفعول-فوري-النيجر-تلغي-اتفاق-التعاون-العسكري-مع-الولايات-المتحدة/a-٦٨٥٩٤٢٦٧.

(٢٠) «'بمفعول فوري'...النيجر تلغي اتفاق التعاون العسكري مع الولايات المتحدة وتصفه بـ'المجحف'،» فرانس ٢٤، (١٧، مارس، ٢٠٢٤م)، https://www.france24.com/ar/إفريقيا/٢٠٢٤٠٣١٧-بمفعول-فوري-النيجر-تلغي-اتفاق-التعاون-العسكري-مع-الولايات-المتحدة-وتصفه-بـ-المجحف.

انتقال السلطة في أوغندا: فرص خلافة الجنرال/ مهوزي كاينروغابا لوالده في الحكم

عبد القادر كاوير، باحث في الشؤون الإفريقية، نيروبي.

بحلول يناير عام ٢٠٢٦م، وهو موعد الانتخابات السابعة في أوغندا، بعد إقرار نظام التعدّدية السياسية في البلاد عام ٢٠٠٥م، يكون الرئيس الأوغندي المخضرم/ يوري موسفيني قد وصل إلى عامه الـــــ٨٢ من العمر، مع قضاء فترة ناهزت ٤٠ عامًا في السلطة، ممَّا يضعه في ترتيب أعلى الزعماء الأفارقة مكوثًا في السلطة. وعلى الرغم من تنظيم انتخابات لـ ٧ مرّات، في الدولة الواقعة في شرق إفريقيا، إلَّا أنّ فوز «موسفيني» في جميع الاستحقاقات الانتخابية، وآخرها عام ٢٠٢١م، صاحبه الجدل، وعدم الاعتراف بشرعية النتائج، خاصة من قبل المعارضة الداخلية، التي تناوب على قيادتها اثنان من المعارضين، هما: السياسي المخضرم/ كيزا بيسيجي – رئيس حزب منتدى التغيير الديمقراطي (سابقًا)، والثاني هو المغني المشهور/ «روبرت كياجيولاني» الملقب بـ«بوبي واين» – رئيس حزب منصة الوحدة الوطنية، ونافس «بيسيجي» «موسفيني» على رئاسة أوغندا ٤ مرّات، لكنّه أفسح المجال للسياسي الشاب «كياجيولاني»، لمنافسة «موسفيني» في الانتخابات الأخيرة.

وفي هذ المقال، نلقي الضوء على طبيعة الانتخابات في أوغندا، وما يكتنفها من ظروف وأحوال وتوقعات، من خلال عدد من المحاور.

أولًا - انتخابات عام ٢٠٢١: جدل لم ينته

نُظّمت الانتخابات الأوغندية الرابعة بعد نظام التعدّدية الحزبية في ١٤ يناير عام ٢٠٢١م، وفاز بها حزب حركة المقاومة الوطنية، الذي يترأسه «موسفيني»، وحقَّق المرشح/ يوري موسفيني نسبة ٥٨,٣٨٪ من أصوات الناخبين، الذين بلغ عددهم ١٠,٣٥٩,٤٧٩ ملايين صوت، بنسبة تصويت بلغت ٥٧,٢٢٪، بينما حقَّق منافسه روبرت كياجيولاني الملقّب بـ (بوبي واين) نسبة ٣٥٪. وفي الانتخابات البرلمانية، حاز حزب

حركة المقاومة الوطنية ٣٣٦ مقعدًا من أصل ٥٢٩ مقعدًا، هو العدد الكلي لمقاعد البرلمان، بينما جاء حزب منصة الوحدة الوطنية في المركز الثاني، بحصوله على ٥٧ مقعدًا.[١]

أعقب نتيجة انتخابات يناير عام ٢٠٢١م جدل وردود أفعال محلية ودولية، شكّكت في نزاهتها ومصداقيتها، وكذلك الظروف السياسية التي سبقتها، فقد وصفت منظمة «هيومان رايتس ووتش» الحملة الانتخابية بأنها اتَّسمت بالعنف واسع النطاق، وانتهاكات حقوق الإنسان، بما في ذلك عمليات القتل على أيدي قوات الأمن، والاعتقالات، والضرب لأنصار المعارضة والصحفيين، وكان الوصول إلى وسائل التواصل الاجتماعي خلال الاقتراع محدودًا للغاية.[٢]

ولم تعلن الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة، والاتحاد الأوروبي -وهم حلفاء أوغندا الرئيسون- عدم اعترافهم بنتائج الانتخابات، لكنّهم شنَّوا هجومًا عليها، ودعوا في بيانات منفصلة إلى إجراء تحقيق في أعمال العنف التي شهدتها الانتخابات، في ظل فرض الإقامة الجبرية على زعيم المعارضة (بورت كياجيولاني)، وأصدرت السفارة الأمريكية بيانًا، قالت فيه: إن الحملة الانتخابية، شابها مضايقات لمرشحي المعارضة، وقمع وسائل الإعلام، وإغلاق الإنترنت، وهذه الاتجاهات، تمثّل مؤشّرًا مثيرًا للقلق على مسار الديمقراطية في أوغندا. ومن جانبه، دعا الاتحاد الأوروبي في بيان له الحكومة الأوغندية، إلى كبح جماح أجهزتها الأمنية، والتحقيق في مزاعم الانتهاكات، ومحاسبة المسؤولين عنها.[٣]

ثانيًا - السباق الانتخابي القادم اختبار للنظام السياسي

تمثّل الانتخابات القادمة ٢٠٢٦م اختبارًا حقيقيًّا للنظام الأوغندي؛ إذ سيُجرى قبلها إصلاحات جوهرية على النظام الانتخابي، الذي ظلّ يمنح «النظام والرئيس» فرصة للاستمرار والفوز بالانتخابات لخمس مرّات متتالية، وأصدرت اللجنة الانتخابية خريطة طريق لانتخابات عام ٢٠٢٦م، شملت تحديد فترة المدة الرئاسية (كانت مفتوحة) وتضمينها في الدستور الأوغندي، وتقييد المناصب الوزارية بـ٢١ منصبًا (حاليًّا يبلغ عدد الوزراء ٨٢ وزيرًا)، وإلغاء منصب رئيس الوزراء، وإلغاء ممثلي الجيش في البرلمان، ومراجعة تعيين أعضاء لجنة الانتخابات، وإضافة ٣٠ دائرة انتخابية جديدة، وغيرها من الإصلاحات التي ظلّت تنادي بها المعارضة، ويتبنّاها وزير العدل الحالي/ نوربت ماو، الذي كان يعارض النظام الأوغندي منذ عام ١٩٩٦م، قبل أن ينضم إلى الحكومة، ويصبح وزيرًا للعدل، كما سيرتفع عدد الأحزاب إلى ٣٣ حزبًا سياسيًّا في البلاد، بعد تقديم ٧ أحزاب جديدة طلبات لدى مسجل الأحزاب السياسية، وكان ٢٧ حزبًا سياسيًّا مسجلين ضمن قوائم الأحزاب السياسية، وتمكّن عدد محدود منها من المنافسة في الانتخابات السابقة.[٤]

ويوضح الجدول التالي نتائج المرشحين في الانتخابات السابقة:[٥]

الرقم	اسم المرشح	عدد الأصوات	النسبة المئوية
١	باتريك أبوي أموريات	٣٣٧,٥٨	٪٣,٢٦
٢	جوزيف كيزا كابوليتا	٤٥,٤٢٤	٪٠,٤٤
٣	ليندا نانسي كاليمبي	٣٨,٧٧٢	٪٠,٣٧
٤	جون كاتومبا	٣٧,٥٥٤	٪٠,٣٦
٥	روبرت سينتامو كياجيولاني	٣,٦٣١,٤٣٧	٪٣٥,٠٨
٦	نوربرت ماو	٥٧,٦٨٢	٪٠,٥٦
٧	ويلي مايمابلا	١٥,٠١٤	٪٠,١٥
٨	جريج موغيشو مونتو	٦٧,٥٧٤	٪٠,٦٥
٩	فريد ماسيجي	٢٥,٤٨٣	٪٠,٢٥
١٠	هنري كاكروغو توكوموندي	٥١,٣٩٢	٪٠,٥٠
١١	يوري كاغوتا موسفيني	٦,٠٤٢,٨٩٨	٪٥٨,٣٨

Source: The Electoral Commission of Uganda, *The Electoral Commission Report on the 2020/2021 General Elections* (Kampala: The Electoral Commission of Uganda, 2021), https://www.ec.or.ug/sites/default/files/docs/EC%20REPORT%202020_2021.pdf.

ثالثًا - من هو الجنرال/ مهوزي كاينروغابا؟

نعرض فيما يأتي تعريفًا بالجنرال/ كاينرو غابا، وأبرز المحطات المؤثرة في حياته:

١- نشأته

ولد الجنرال/ كاينروغابا في أبريل عام ١٩٧٤م في دار السلام بتنزانيا، وعاد مع والديه (يوروي وجانيت) إلى أوغندا عام ١٩٧٩م، بعد الإطاحة بالرئيس السابق «عيدي أمين»، لكنه فرَّ مع والديه إلى كينيا عام ١٩٨١م، بعد تزوير انتخابات عام ١٩٨٠م، وبدء حرب المقاومة، وفي عام ١٩٨٢م غادر إلى السويد، بعد تصاعد التهديدات على حياتهم في كينيا، من قبل الحكومة الأوغندية في ذلك الوقت، وفي عام ١٩٨٦م، عادت العائلة إلى أوغندا، بعد انتصار جيش المقاومة الذي يقوده والده، وفي الفترة ما بين عام ١٩٨٦ و١٩٨٩م أكمل تعليمه الثانوي، وانضم إلى كلية «سانت ماري»، ثم التحق بجامعة نوتنغهام، وتخرج بدرجة البكالوريوس في العلوم السياسية عام ١٩٩٧م.[٦]

٢- التدرّج العسكري

انضم الجنرال/ كاينروغابا إلى الجيش عام ١٩٩٩م، وتخرج برتبة ضابط، ثم أُرسِل مباشرة إلى المملكة المتحدة للتدريب في أكاديمية «سانت هيرست» المرموقة، والتي تعدّ من أشهر منشآت التدريب في العالم، وبعد عام عاد إلى أوغندا، ورُقِّي إلى رتبة ملازم ثانٍ، وانضم إلى وحدة الحماية الرئاسية، وفي أواخر عام ٢٠٠١م، رُقِّي إلى رتبة نقيب، ثم سافر بعدها لتلقّي التدريب في مصر، وبعد عودته رُقِّي إلى رتبة رائد، وتولى مهمّة قائد كتيبة المشاة التابعة للحرس الرئاسي.

وفي عام ٢٠٠٧م، شارك في معارك ضد متمرّدي حركة القوى الديمقراطية المتحالفة، وفي وقت لاحق من عام ٢٠٠٧م، أُرسل إلى التدريب بكلية القادة والأركان، في ولاية كنساس بالولايات المتحدة الأمريكية، وتخرّج فيها عام ٢٠٠٨م، وعقب عودته من الولايات المتحدة، رُقِّي إلى رتبة مقدّم، وعُيِّن قائدًا للقوات الخاصة في الجيش الأوغندي، وبعدها بثلاثة أعوام، أشرف «كاينروغابا» على خطط دخول القوات الأوغندية إلى الصومال، كجزء من مهمة بعثة الاتحاد الإفريقي في الصومال.

وفي سبتمبر عام ٢٠١١م، رُقِّي إلى رتبة عقيد، وفي أوائل عام ٢٠١٢م، التحق بكلية الدفاع الوطني بجنوب إفريقيا لبرنامج الأمن القومي، وعقب عودته رُقِّي إلى رتبة عميد، وفي عامي ٢٠١٣ – ٢٠١٤م، كان «كاينروغابا» من أوائل الضباط الذين انتشروا في جنوب السودان، لدعم حكومة جنوب السودان، ضد قوات القائد رياك مشار.

٣ - الصعود السياسي

صاحب الصعود المتسارع للجنرال/ مهوزي كاينروغابا في سلّم الرتب العسكرية والسياسية انتقاداتٌ وجدلٌ داخل أوغندا؛ فبعد تعيينه في منصب كبير المستشارين للعمليات الخاصة عام ٢٠١٧م، وقائدًا للقوات البرية عام ٢٠٢١م، بدأت تظهر في خضم هذه الفترة الطموحات السياسية للجنرال، وباتت واضحة وضوحًا متزايدًا، وهو ما أكَّدته منشوراته الجريئة على منصة (x)، كما أثارت مسيراته مؤيديه ومعارضيه في جميع أنحاء البلاد، والتي بلغت ذروتها في عيد ميلاده، ممّا أثار التكهّنات حول تطلّعاته السياسية.[٧]

وفي يناير عام ٢٠٢٢م، أقال «موسفيني» ابنه من قيادة القوات البرية، بعد أن دوَّن تغريدة على حسابه بتطبيق (x) هدَّد فيها بالاستيلاء على العاصمة الكينية نيروبي، ممّا أثار قلقًا واسع النطاق في شرق إفريقيا، وأبدى الكثير من الناشطين والسياسيين الأوغنديين قلقهم من تغريدات الجنرال، ووصفوها بأنها استفزازية، وخطيرة في بعض الأحيان.[٨]

وفي نيروبي، عَدَّ الكاتب والمحلل السياسي «بيتر كاجوانجا» مدير معهد السياسة الإفريقية تغريدات «كاينروغابا» مؤشّرًا على رغبته في تولّي السلطة، فقد قال: «تلك العائلة تسيطر على أوغندا، والدته في الحكومة، وهو الأمير الذي ينتظر خلافة والده». ويرى «كاجوانجا»، أن من أهداف هذه التغريدات هو الوصول إلى الزعماء الأفارقة، وتعزيز الأهداف السياسية لأوغندا. وكلما يقوم «كاينروغابا» بفعل استفزازي، ثم يرتّب له والده، فإنه يقدم الاعتذار، وبهذه الطريقة يُدخَل إلى المجتمع الأوغندي ودوائر القيادة».[٩]

ولكن بعد ضغوط مستمرة، اضطر مساعدو «مهوزي» لحذف حساب الجنرال على تطبيق تويتر، وتعيين أشخاص يديرونه، فيما أفاد بعض النشطاء، أن «مهوزي» يغرّد أحيانًا خارج السياق العام، وممّا عزز هذا الاتجاه تغريدة أخرى مثيرة للجدل، عبَّر فيها عن دعمه للرئيس الروسي فلاديمير بوتن قائلًا: «إن غالبية البشرية غير البيض، يدعمون موقف روسيا في أوكرانيا.[١٠]

٤ - تأسيس حركة (MK) الشبابية

انتقل الجنرال /كاينروباغا من مربع التغريدات على منصة (X)، إلى العمل المؤسسي، لبلورة الطموحات السياسية؛ فقد أسَّس عدد من مؤيديه في فبراير عام ٢٠٢٢م رابطةً باسم: «مؤسسة المبادرة الشبابية»، ورمزها: (MK)، ويرمز إلى اسم الجنرال/ مهوزي كاينورغابا، ولم تشر في نظامها الأساس إلى أي مدلولات سياسية، فقد ورد في ديباجة تأسيسها أنها مبادرة تهدف إلى خلق فرص الأعمال والتجارة للشباب الأوغنديين، وربط الأعمال بتوفير فرص التوظيف، مع رفع المهارات، كما ركّزت على تعزيز قيم ومبادئ الاستقلالية، والشفافية، والتكامل، والحكومة التعاونية.[١١]

تركزت أنشطة المبادرة خلال العامين من عمرها على تغطية تحركات الجنرال/ مهوزي في الفضاء العام، والاحتفال بأعياد ميلاده، التي أصبحت تعبّر عن تظاهرة سياسية، كما ركّزت على وسائل التواصل الاجتماعي، للقيام بالترويج للرئيس القادم للبلاد، وحشدت عددًا كبيرًا من الشباب، ومن بينهم صحفيون، ورجال أعمال شباب، ورياضيون، ويعدّ شقيق والده «راغوبو» من أبرز الفاعلين في المبادرة، ومن المتحمسين لدعم طموحات «كاينروباغا» السياسية.[١٢]

٥- من مؤسسة المبادرة الشبابية إلى الرابطة الوطنية (NUP)

بعد مرور عامين على تأسيس المبادرة الشبابية، وفي ٧ فبراير من عام ٢٠٢٤م، أطلق أنصار «كاينوغابا» في احتفال بضاحية «ناغورو» بكمبالا كيانًا جديدًا، أطلقوا عليه اسم: «الرابطة الوطنية الأوغندية»، التي أعلنوا عن أنها حلت مكان المبادرة الشبابية، ولم يكن الجنرال كاينروغابا حاضرًا وقت إطلاق الكيان الجديد،

ولكن شارك في الاحتفال شقيق الرئيس موسفيني، وعم مهوزي: «مايكل نواجيرا كاغوتا»، وعدد من نواب البرلمان الأوغندي، وأعضاء من حركة المقاومة الوطنية، وهي الحزب الحاكم الذي يتزعّمه والده. وبعد إطلاق حفل الافتتاح، غرد «مهوزي» على حسابه بتطبيق (X) باللغة السواحلية قائلًا: «أود أن أشكر أخي الأكبر ماكولا على إدارته حفل إعلان الرابطة الوطنية الأوغندية؛ لقد تحدّث جيّدًا للغاية، أودّ أن أشكر الملايين من المؤيدين والمهنئين، لمساعدتنا على الوصول إلى أوغندا العظيمة».[١٣]

٦- حظوظ الجنرال كاينروغابا في الترشح لانتخابات عام ٢٠٢٦م

يعدّ تعيين الرئيس يوري موسفيني لنجله الجنرال/ مهوزي كاينروغابا رئيسًا لقوات الدفاع الأوغندية، مع احتفاظه بمنصبه، وهو كبير المستشارين الرئاسيين، مؤشرًا على تهيئة الابن لتولي القيادة، لأن المرور على المؤسسة العسكرية، هو محطة ضرورية، لمعرفة خبايا المؤسسة العسكرية، ولصناعة ولاء داخل الجيش، وتأمينه ضد أي محاولة انقلابية، أو عملية تمرد، وهي احتمالات واردة، بعد انتشار الانقلابات العسكرية مؤخرًا في غرب القارة الإفريقية ووسطها، ولم يخف «كاينروغابا» طموحاته السياسية؛ فقد عبّر في تغريدة على حسابه بتطبيق (x) بالقول: «الوقت قد حان لكي يتألق جيلنا»، وغرّد مرّة أخرى قائلًا: «باسم يسوع المسيح إلهي، وباسم شباب أوغندا والعالم، وباسم ثورتنا العظيمة، سأترشح للرئاسة عام ٢٠٢٦».[١٤]

ولكن مع ذلك، يبقي الرئيس/ موسفيني الوضع بشأن إمكانية ترشحه لانتخابات عام ٢٠٢٦م من عدمها، رهن التكهنات؛ فمع الإشارات التي ترسلها عملية ترقية الابن في المناصب والفضاء السياسي، الذي يتحرك فيه، بيد أن هناك خطوات تجري على مسار آخر، تعطي مؤشّرًا على رغبة «موسفيني» الترشّح مرّة أخرى، ومن بين هذه الخطوات، إشرافه – مؤخرًا – على تحديث سجل ناخبي حزب حركة المقاومة الوطنية، وفي أثناء عملية إطلاق السجل الانتخابي، صرّحت مستشارته للشؤون السياسية «خديجة ناميالو» قائلةً: إن الرئيس/ موسفيني هو حامل العلم الوحيد لحركة المقاومة الوطنية في انتخابات عام ٢٠٢٦م، بينما هناك من يرى أن المستقبل السياسي للجنرال/ مهوزي غير محدد، لكن بالنسبة لمؤيديه الشباب من أمثال وزير الدولة لشؤون الشباب/ بلعام بار، وجاهارا، فإن تعيينه في منصب رئيس قوات الدفاع الأوغندية، يعني عمليًّا تسليمه السلطة، حيث أصبح ثاني أقوى رجل في البلاد.[١٥]

٧- دعم جنرالات الجيش

يجد «كاينروغابا» دعمًا من عدد من الرتب العسكرية العليا في الجيش الأوغندي، ومن أبرز هؤلاء الداعمين،

قائد القوات البرية/ كايانجا موهانجا، وهو الضابط الثالث من حيث الرتب العليا، ومن المؤثرين في الجيش، وهو ضابط استخبارات، قاتل في الصومال لعدّة سنوات.

الضابط الثاني الذي يدعم «كاينروغابا»، هو الجنرال/ سام اوكيدتيج، وهو نائب رئيس قوات الدفاع، وشغل منصب نائب قائد قوات الاتحاد الإفريقي، كما خدم في عدة مواقع، ومن بينها سلاح المدفعية، ومهام مكافحة التمرد.

الضابط الثالث هو العميد/ خيرية بايانابو، وهي ابنة عم «كاينروغابا»، وتخرّجت في مدرسة القذافي للمشاة، وتولّت سابقًا رئاسة الحرس الرئاسي، وتعمل حاليًّا نائبًا لقائد الشرطة.

الضابط الرابع هو العقيد/ ألان ماتسيكو، وهو من الشباب الذين جندهم «كاينروغابا»، وشغل رئيس مكتب مكافحة التجسس في القوات الخاصة، ثم عُيِّن في يناير عام ٢٠٢٤م مديرًا للاستخبارات في اللواء ٣٠٣ التابع لفرقة المشاة الأولى بمنطقة واكيسو، بالإضافة إلى ضباط آخرين.[١٦]

٨- دعم الأسرة الحاكمة

يتحصل الجنرال/ كاينروغابا على دعم قوي من والدته «جانيت موسيفيني» وزيرة التعليم، ومن عمه الفريق/ سالم صالح، الذي يعدّ رجل الظل في البلاد، ومثّلت مناسبات أعياد ميلاد «كاينروغابا» مناسبة لتأكيد التشجيع والدعم، وفي عيد ميلاده الخمسين الذي صادف يوم ٢٩ أبريل عام ٢٠٢٤م، أشاد «موسفيني» خلال الاحتفال الأسري الخاص، الذي نُظِّم بالقصر الرئاسي، بانضمام نجله إلى الجيش، ومهنيته، وقدرته على التطوير، بينما وصفته والدته بأنه ابن قوي الشخصية، محب لوطنه.[١٧]

الخلاصة

في حين يرى العديد من الداعمين والمتحمسين لما يسمى بـ«مشروع مهوزي»، الذي يُعَدُّ لتولّي السلطة في أوغندا، يعتقد بعضهم أن هذا السيناريو لم تكتمل فصوله بعد، والذي يجري حاليًّا، إنما يمثّل تكتيكًا، وبالونة اختبار من جانب الرئيس موسفيني، لمعرفة كيفية استقبال هذا السيناريو، وهو جزء من إستراتيجية اللعبة الكلاسيكية، التي ظل ينتهجها موسفيني طيلة ما يقارب أربعة عقود، والهدف من ذلك هو معرفة من يعارضها، أو ما نقاط ضعفها وقوتها، ومنحها الوقت، وفي الوقت المناسب إطلاقها أو تأجيلها، كما يرى موسفيني في هذا السيناريو اختبارًا لمهوزي نفسه، وكيف ينظر إليه داخل النخبة السياسية، وهل سيُقبَل من جانب قدامى المحاربين من زملاء الكفاح والنضال في حرب التحرير، وحتى من جانب الأجيال الجديدة؟

ولكن مع كل هذا الزخم والتعبئة، التي قادها مهوزي وأنصاره، لتقديم الجنرال الشاب في ثوب «الخليفة القادم» لتولي السلطة، فهل سيُتراجع عن الخطوة؟ وهل يجد موسفيني نفسه مجبرًا على قبولها؟ وهل يمكن حدوث سيناريو مشابهٍ للسيناريو التشادي، أو أن ذلك الأمر مستبعد؟

وبينما يُحكِم نظام «موسفيني» قبضته، من خلال مزيج من الإكراه والمحسوبية، فلا يزال يتمتّع بمستوى من الشرعية السياسية، ولديه القدرة على الحفاظ على التسوية السياسية، وإدارة خيوط اللعبة في أوغندا. والسؤال المطروح هو: في حال وصول «مهوزي» إلى السلطة عن طريق الانتخابات، أو من خلال الوفاة المفاجئة لوالده، فهل يستطيع الحفاظ على النسق والنظام السياسي القائم، في ظل التعقيدات والخلافات التي ستنشأ، خاصة داخل الجيش، أم ستنفجر الأوضاع، وتؤدي إلى تغيير جذري في النظام السياسي، ودخول البلاد في حقبة جديدة عنوانها: «ما بعد موسفيني».

الهوامش والإحالات

(1) Ronald Musoke, "Final Ec Results: Museveni gets 6 million votes," *Independent*, January 28, 2021, https://www.independent.co.ug/final-ec-results-museveni-gets-6-million-votes/.

(2) Louisa Brooke-Holland, *Uganda: Reaction to the 2021 election* (London: House of Commons Library, 2021), https://commonslibrary.parliament.uk/research-briefings/cbp-9206/.

(3) "EU, U.S call for probe into Uganda election violence," *Africa News*, January 21, 2021, https://www.africanews.com/2021/01/21/eu-u-s-call-for-probe-into-uganda-election-violence/.

(4) Jonathan Kamoga, "Uganda's 2026 Polls Roadmap Laden with All-Too-Familiar Supreme Law Review Talk," *The East African*, August 12, 2023, https://www.theeastafrican.co.ke/tea/news/east-africa/uganda-2026-polls-roadmap-4333852.

(5) The Electoral Commission of Uganda, *The Electoral Commission Report on the 2020/2021 General Elections* (Kampala: The Electoral Commission of Uganda, 2021), https://www.ec.or.ug/sites/default/files/docs/EC%20REPORT%202020_2021.pdf.

(6) George Asiimwe, "Profile: New CDF Gen Muhoozi Kainerugaba," *Chimp Reports*, March 22, 2024, https://chimpreports.com/profile-updfs-chief-of-land-forces-lt-gen-muhoozi-kainerugaba/.

(7) Ian Katusiime, "Gen. Muhoozi's Rise To CDF," *Independent*, March 24, 2024, https://www.independent.co.ug/gen-muhoozis-rise-to-cdf/.

(8) Rodney Muhumuza, "Uganda's president fires military son after offensive tweets," *AP news*, October 4, 2022, https://apnews.com/article/africa-kenya-uganda-yoweri-museveni-east-185637ad1eb252e66881307302fb4bfa.

(9) Farouk Chothia, "Muhoozi Kainerugaba - Uganda's ambitious tweeting general," *BBC*, October 30, 2022, https://www.bbc.com/news/world-africa-63308080.

(10) "Museveni son's Twitter account deactivated," *The East African*, APRIL 13, 2022, https://www.theeastafrican.co.ke/tea/news/east-africa/muhoozi-twitter-account-deactivated-3780992.

(11) "Mk Youth Initiative Foundation - Be the change agent you envision" *Mk Youth Initiative Foundation*, May 26, 2024, https://mkyouthinitiative.com/.

(12) Gilbert Mwijuke, "What's in a birthday? The curious case of Muhoozi's national event," *The East African*, APRIL 23, 2022, https://www.theeastafrican.co.ke/tea/news/east-africa/the-curious-case-of-muhoozi-national-event-3791614.

(13) "From MK Movement to the Patriotic League," *The Independent*, February 10, 2024, https://www.independent.co.ug/from-mk-movement-to-the-patriotic-league/.

(14) "Museveni's son Muhoozi says he will run for Uganda presidency," *The East African*, March 16, 2023, https://www.theeastafrican.co.ke/tea/news/east-africa/muhoozi-says-to-run-for-uganda-president-4161490.

(15) "Caption for the landscape image: Muhoozi promotion: Did Museveni switch on 'Generator' or tactfully silence it?," *Nation*, March 23, 2024, https://nation.africa/africa/news/muhoozi-promotion-did-museveni-switch-on-generator-or-tactfully-silence-it--4566054.

(16) Chris Kayonga, "Muhoozi key allies in army revealed," *Monitor*, March 24, 2024, https://www.monitor.co.ug/uganda/special-reports/muhoozi-key-allies-in-army-revealed-4566660.

(17) "President Museveni Commends General Muhoozi for Joining the Army," *State House*, April 29, 2024, https://statehouse.go.ug/president-museveni-commends-general-muhoozi-for-joining-the-army/.

أمن البحر الأحمر في ظل الديناميات الإقليمية والاستجابات الدولية

د. شيرين جابر، باحث أول مركز الدراسات الإستراتيجية بمكتبة الإسكندرية، الإسكندرية.

عقب أحداث السابع من أكتوبر عام ٢٠٢٣م، وشنِّ إسرائيل الحرب على قطاع غزّة؛ استهدف الحوثيون مسارات الشحن في البحر الأحمر، في محاولة لإظهار الدعم للفلسطينيين. وردًّا على ذلك، وجَّهت الولايات المتّحدة وبريطانيا ضربات من الجوّ والبحر لمواقع تابعة للحوثيين في اليمن، وجاء ذلك باعتبار أنَّ البحر الأحمر يُعدُّ ساحة إستراتيجية للعديد من الجهات الفاعلة؛ الإقليمية والدولية على حدٍّ سواء، وهو ممرٌّ مائي بالغ الأهمية للتجارة العالمية، ويعدُّ طريق التجارة الرئيس بين أوروبا وآسيا عبر قناة السويس؛ لذا، تتصارع عليه القوى الإقليميّة والدوليّة، لما له من أهمّية اقتصادية، وعسكرية، وأمنية، وهو أكثر طرق الملاحة البحرية الدولية حيويّة في العالم؛ الأمر الذي يجعل أيَّ صـراع فيه يهدّد السلم والأمن الدوليين؛ ومن ثمّ سلَّطت هجمات الحوثيين الأخيرة الضوء على هشاشة أمن البحر الأحمر، الذي أصبح ساحة ساخنة للمنافسة الجيوسياسية، وتزايد التوترات الإقليمية، مع استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة، ومخاوف التصعيد الإقليمي.

وتأتي أهمية الدراسة الحالية من أنّ الأزمة الأمنية الراهنة في البحر الأحمر تضيف مبرّرًا قويًّا لتصاعد التنافس والعسكرة في المنطقة، التي تشهد بالفعل تنافس المصالح، والتدخّلات الإقليمية والدولية، وسعي أغلب القوى لإقامة القواعد العسكرية، التي تسهم في حماية مصالحها، وفرض نفوذها في المنطقة؛ ممّا يفرض على الدول المعنية الاختيار بين بدائل وترتيبات أمنية، شديدة التعقيد، وهذا هو موضوع هذه الدراسة، ونتناول ذلك من خلال المحاور الآتية:

أولًا- ديناميات الأمن في البحر الأحمر

يمكن دراسة ديناميات الأمن في البحر الأحمر من خلال مصالح القوى الدولية والإقليمية، وذلك على النحو الآتي:

١- الولايات المتحدة ومزيد من سياسة التخبط في البحر الأحمر

لا شكّ أنّ السياسة الأمريكية في المنطقة، والتي اتّسمت في مرحلة ما، وبخصوص بعض القضايا في منطقة

القرن الإفريقي، والبحر الأحمر، بعدم الثبات، قد أسهمت بصورة أو بأخرى في عدم التمكّن من تأمين الملاحة في الممرّات البحرية، والحدّ من التوتّرات الإقليمية؛ حيث ارتبطت تلك التهديدات بالصراعات الأمريكية مع إيران في منطقة الشرق الأوسط، وتنامي ظاهرة الإرهاب والقرصنة... وأدّى ذلك إلى تزايد التهديدات الملاحية في باب المندب، وبحر العرب، والخليج العربي، ومضيق هرمز... فهناك عدد من الدوافع وراء تحرّكات الولايات المتحدة وحلفائها في البحر الأحمر، ويمكن إبرازها فيما يأتي:

أ- تعزيز السيطرة على الممرات البحرية ودعم إسرائيل

تعدّ رغبة الولايات المتحدة في تأمين ودعم سيطرتها البحرية بمنزِلة أولوية واضحة في السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط؛ فوثيقة إستراتيجية الأمن القومي الأمريكي، التي نُشرت في أكتوبر عام ٢٠٢٢م، تنصّ على أن «الولايات المتحدة، لن تسمح للقوى الأجنبية أو الإقليمية، بتعريض حرية الملاحة عبر الممرات المائية في الشرق الأوسط للخطر، بما في ذلك مضيقي هرمز وباب المندب»،[١] في إشارة إلى المصالح الأمريكية في المنطقة. كما أن واشنطن تحاول طمأنة تل أبيب، خاصة في ظل الوضع الراهن. لذلك حشدت الولايات المتحدة أكثر من ١٧ ألف جندي للمنطقة، وهو ما يعادل ضعف القوة الموجودة قبل السابع من أكتوبر، فضلًا عن توفير الحماية للقوات الأمريكية في المنطقة (الخليج وشرق إفريقيا)، وقواتها البحرية في البحر الأحمر من الاستهداف، بعمليات قد تشنّها إيران أو وكلاؤها، من اليمن أو من غيره.[٢]

ب- مجابهة النفوذ الصيني والروسي في البحر الأحمر

تنظر واشنطن إلى العودة الروسية، وتزايد النفوذ الصيني في المنطقة، ومكانة البحر الأحمر في إستراتيجيتهما العالمية بمنزِلة التهديد لمصالحها، وقد خلصت التقييمات الأمريكية إلى أنّ الصين وراء عدم كفاءة العقوبات، التي فرضها الغرب على موسكو منذ فبراير عام ٢٠٢٢م، وأن الصين أضحت أكبر المستفيدين من النفط والغاز الروسي الرخيص، الذي يمرّ من البحر الأحمر، في طريقه إلى الصين. لذا تعدّ واشنطن أن هيمنتها الكاملة على الممرّات البحرية، التي تنقل الطاقة الروسية إلى الصين ضربةٌ مزدوجة لكلٍّ من موسكو وبكين.[٣]

كما أن هجمات الحوثيين، وتصدّي الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين لها؛ يوضّح بوجهٍ أساس أنّ بكين لن تكون قادرة في المستقبل على حماية «الحزام والطريق»؛ إذ تستورد أكثر من ٤٦٪ من النفط من الشرق الأوسط، كما أنّها تصدر إلى أوروبا أكثر ممّا تصدره إلى الولايات المتحدة؛ وهو ما قد يعرقل الدعوات الصينية نحو عالم متعدّد الأقطاب؛ لأن سيطرة واشنطن، وهيمنتها الكاملة على الممرّات الملاحية في الشرق الأوسط تؤكّد أنّها ما تزال تمسك بخيوط القيادة الدولية للعالم، الذي تشكّل بعد الحرب الباردة.[٤]

ج- حماية الوجود العسكري في جيبوتي

تضمّ جيبوتي أكبر قاعدة عسكرية أمريكية في إفريقيا، كما تضمّ القاعدة العسكرية الوحيدة للصين خارج حدودها، وأول قاعدة عسكرية خارجية لليابان، منذ الحرب العالمية الثانية، وأهم وحدة عسكرية فرنسية في إفريقيا؛ ويأتي هذا التجمّع الدولي العسكري، الذي يضمّ دولًا من معسكري الشرق والغرب، في بلد عربي إفريقي نامٍ، نظرًا للموقع الإستراتيجي الفريد، الذي تحظى به جيبوتي؛ إذ تطل على الجانب الغربي لـمضيق باب المندب - البوابة الجنوبية للبحر الأحمر - والذي يتميّز بأهمّية اقتصادية وعسكرية وأمنية بالغة، ويشكّل جسرًا بين إفريقيا والشرق الأوسط، ويربط أوروبا بشرق آسيا.[٥] ولذا، فإن تشكيل القوّات البحرية من قبل الولايات المتحدة وحلفائها قد يتجاوز هدف مواجهة تهديدات الحوثيين في اليمن، ضد السفن التجارية، والملاحة البحرية، وإنما تستهدف بالأساس زيادة الوجود العسكري الأمريكي والغربي، في ظل حالة الاستقطاب الدولي بين القوى الكبرى، التي تتنافس على الوجود في جيبوتي والإقليم.

د- تنامي المخاوف من تعاون الحوثيين مع حركة الشباب الصومالية

وقّع كلٌّ من الصومال والولايات المتحدة اتفاقًا عسكريًّا منتصف فبراير الماضي، تُعزِّز بموجبه واشنطن قدرات الجيش الصومالي في مواجهة حركة الشباب المجاهدين الصومالية. وتبرز التطورات الأخيرة في جنوب البحر الأحمر كواليس الاتفاق العسكري، الذي عقدته واشنطن مع مقديشو، إذ يربط عديد من التحليلات بين الهجمات، التي يقوم بها الحوثيون على المصالح الغربية قرب باب المندب ورغبة الإدارة الأمريكية في دعم وجودها العسكري، والاستخباري في الصومال القريب من مسرح العمليات هذا.[٦] كما أن هناك المزيد من المخاوف الأمريكية، حول علاقة تربط بين عناصر من حركة الشباب، ومجموعة من القراصنة، الذين يختطفون السفن التجارية، قبالة سواحل الصومال، إضافةً إلى تفاوض الحركة مع القراصنة وجماعة الحوثيين اليمنية، بخصوص شراء أنواع من الأسلحة، لتعزيز عملياتها الإرهابية.[٧]

٢- روسيا واستغلال التوتر في البحر الأحمر لتعزيز نفوذها

تزداد الأهمية الجيوستراتيجية لمنطقة البحر الأحمر لروسيا، في ضوء تنافس القوى الدولية والإقليمية، لإقامة قواعد عسكرية لها على شواطئه. ومعظم هذه القوى لديها اليوم قواعد في هذه المنطقة، مثل: الولايات المتحدة، وفرنسا، وبريطانيا، والصين، واليابان، وإسبانيا، وإيطاليا، فضلًا عن قوى إقليمية صاعدة، مثل: تركيا. ويأتي اشتعال الحرب في أوكرانيا، وعودة التنافس العسكري مع الولايات المتحدة والغرب، ليفاقم من أهمية المنطقة، ويزيد من اهتمام روسيا بها.[٨] ويُعتقد أن دخول الأسطول الروسي إلى البحر الأحمر هو رسالة قوية من موسكو للغرب، بعد تصاعد التهديدات الغربية فيما يتعلّق بتسليح أوكرانيا؛ حيث يؤكد

الجانب الروسي أنه قادر على مدِّ نفوذه في مناطق تعدّ حيوية وإستراتيجية للولايات المتحدة، كما سيمثّل انضمام إريتريا إلى كلٍّ من الصين وإيران وروسيا تحوّلًا كبيرًا، ولا سيّما أن إريتريا هي صاحبة ثالث أطول سواحل بين دول الحوض، وتمتلك عددًا من الجزر الإستراتيجية، الممتدّة حتى المياه الإقليمية اليمنية.[٩]

وقد ظهر الحضور الروسي بقوّة في البحر الأحمر في مارس عام ٢٠٢٤م، حينما نفّذت قطعٌ من البحرية الروسية مناورات مشتركة مع القوات البحرية الإريترية، في مدخل البحر الأحمر، في وقت تزداد فيه حدّة التوتر بالمنطقة، التي تشهد عمليات بحرية أمريكية وأوروبية لـ«حماية الملاحة الدولية»، إضافة إلى عمليات استهداف لسفن تجارية من جانب «الحوثيين»، في منطقة باب المندب، إضافة إلى تصاعد التوتر بين روسيا والغرب، على خلفية الحرب في أوكرانيا.[١٠] وتعدّ هذه المناورات رسائل روسية واضحة إلى الغرب، فضلًا عن تحرّك من جانب روسيا، للوجود في منطقة أصبحت تمثّل ساحة للتنافس الإستراتيجي، بين عديد من القوى حول العالم، وسط مساعٍ من جانب روسيا، لإيجاد موطئ قدم في تلك المنطقة الحيوية إستراتيجيًّا واقتصاديًّا.

ومن المتوقّع أن تتعرّض إريتريا لمزيد من الإجراءات العقابية الأمريكية، والدفع نحو تمديد عزلتها الدولية، بل قد تذهب واشنطن إلى أبعد من ذلك، كالضغط على أديس أبابا للتخلّي عن أفورقي، وإطلاق يد «جبهة تحرير تيغراي»، لمحاولة إسقاط النظام الإريتري، بعد تسوية الصراع الإثيوبي تسويةً نهائية؛ الأمر الذي يعني تأجّج الصراعات في منطقة القرن الإفريقي.[١١]

وفي أواخر مايو من عام ٢٠٢٤م، أعلن ياسر العطا - عضو مجلس السيادة الانتقالي، ومساعد القائد العام للقوات المسلحة في السودان - أن بلاده ستبرم اتفاقيات قريبًا مع روسيا، في خطوة توحي بأن الخرطوم وموسكو، ينفّذان اتفاقًا سابقًا، لإقامة قاعدة عسكرية روسية على البحر الأحمر، وهو ما سيزيد من تعقيد الوضع في هذا الممرّ البحري الإستراتيجي، الذي يعيش حالة قصوى من التوتر، بسبب هجمات الحوثيين على السفن،[١٢] ويسمح الاتفاق لروسيا بإنشاء قاعدة بحرية، تضمّ نحو ٣٠٠ جندي روسي، والاحتفاظ في وقت واحد، بما يصل إلى أربع سفن بحرية، بما في ذلك سفن تعمل بالطاقة النووية، في بورتسودان الإستراتيجية على البحر الأحمر، وستضمن القاعدة وجود البحرية الروسية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، وتجنيب سفنها الحاجة إلى رحلات طويلة للوصول إلى المنطقة.[١٣]

٣- الصين وعدم التدخل الممنهج في أزمة البحر الأحمر

ينعكس الحضور العسكري الغربي المكثّف في البحر الأحمر على التنافس الصيني الأمريكي؛ حيث تنظر بكين إلى أن الصراعات تُعزّز من نفوذ الولايات المتحدة، على حساب التمدّد الناعم للصين، المعتمد على الاستقرار والجوانب الاقتصادية، كما تعتقد الصين أن الولايات المتحدة تسعى لتأجيج التوترات في البحر الأحمر، بهدف

محاصرة مبادرتها المعروفة باسم «الحزام والطريق»، والتي تتّخذ من البحر الأحمر نقطة التقاء الممرّ البري، بطريق الحرير البحري، والتضييق على قاعدتها العسكرية الوحيدة في الخارج، في جيبوتي.[١٤]

اختارت الصين ألّا تُشارك في العملية التي تقودها الولايات المتحدة، وكان المنطق الصيني واضحًا في مقال افتتاحي، نشرته صحيفة «ساوث تشاينا مورنينج بوست» في ٢٧ ديسمبر الماضي؛ فقد ذكر أن الصين لن تُشارك في أيّ جهود دولية ضدّ الحوثيين، ما لم تتعرّض سفنها للتهديد، وأن السفن الصينية لم تتعرّض لأيّ هجمات. وفي الواقع، فقد كانت هذه السفن تُرسل إشارات، تُفيد بأن طاقمها صيني، كي تضمن المرور الآمن، دون التعرّض لأيّ مضايقات من قبل الحوثيين، وحتى إذا كانت السفن الصينية تتعرّض للهجوم، فمن الصعب تخيّل أن الصين، لأسباب تتعلّق بالسيادة الوطنية والكبرياء، سوف تُخضع نفسها لعملية، تقودها الولايات المتحدة.[١٥]

ويظهر المؤشر التالي في عدم تدخّل الصين المتعمد في هذه العملية، في موقفها من قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة رقم ٢٧٢٢، الذي مُرِّر في ١٠ يناير عام ٢٠٢٤م، وتضمّن القرار أجزاء مهمّة؛ حيث «يطالب الحوثيين بوقف فوري لمثل هذه الهجمات»، وأشار الجزء الثالث منه إلى حقّ الدول الأعضاء في الدفاع عن سفنها ضد الهجمات، بينما أشاد الجزء الرابع بـ«الجهود التي تبذلها الدول الأعضاء في إطار المنظمة البحرية الدولية، لتعزيز سلامة وعبور آمن للسفن التجارية، التابعة لجميع الدول، عبر البحر الأحمر».[١٦] وكان موقف الصين من هذا القرار هو الامتناع عن التصويت.

وباستخدام خيار الدفاع عن النفس، الذي قدّمه القسم الثالث من القرار، شنّت الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في الثاني عشر من شهر يناير الماضي، سلسلة من الضربات الجوية والصاروخية ضد الحوثيين. وعلى الفور، اتّخذت الصين موقفًا معارضًا للضربات الأمريكية - البريطانية. واتّضح النهج العام للصين جليًّا، من خلال عناوين وسائل إعلامها الرسمية، التي ذهبت إلى أنه «من المستحيل استعادة السلام في البحر الأحمر عبر الوسائل العسكرية»،[١٧] وأنَّ «مجلس الأمن لم يأذن باستخدام القوة ضد اليمن».[١٨] وفي اليوم التالي، صدر بيان مشترك بين الصين والجامعة العربية، جاء فيه: «أعرب الجانبان عن قلقهما البالغ إزاء التصعيد الأخير في البحر الأحمر، وأكدا على الأهمية القصوى للحفاظ على سيادة اليمن وسلامة أراضيه، واعتُبر ضمان سلامة خطوط الشحن التجاري الدولي في البحر الأحمر، أمرا بالغ الأهمية».[١٩]

ومن الواضح وجود انفصال بين المقترحين: الأول والثاني؛ حيث إنّ اتّخاذ إجراء ضد قدرات الحوثيين في اليمن أمرٌ ضروريٌّ إلى حدٍّ ما، لتأمين الشحن. واستمرَّت وسائل الإعلام الصينية الرسمية في انتقاء كلماتها وعباراتها بعناية، كما هو واضح في عناوين مثل: «الولايات المتحدة تصعد التوترات في البحر الأحمر، بينما تتبنى الصين موقفا عادلا».[٢٠]

٤- اتفاق إثيوبيا - أرض الصومال ومزيد من التوتر في البحر الأحمر

أبرمت إثيوبيا في الأول من يناير عام ٢٠٢٤م اتّفاقًا مبدئيًّا مع إقليم «أرض الصومال»، وبموجبه، تتمتّع أديس أبابا بالوصول إلى البحر الأحمر ، تمهيدًا لإقامة قاعدة بحرية تجارية إثيوبية بالقرب من ميناء بربرة، على مساحة عشرين كيلومترًا مربعًا، ولمدة خمسين عامًا، في مقابل اعتراف الحكومة الإثيوبية بـ«أرض الصومال» دولة مستقلّة.[٢١] وينظر إلى أنّ اتّفاق أرض الصومال سيؤثّر في الاستقرار الإقليمي، في القرن الإفريقي والبحر الأحمر؛ لأنه سيسهم في تنامي الحركات الانفصالية والإرهابية عبر الحدود، وربما تلجأ إثيوبيا إلى الحرب بالوكالة، لتحقيق هذا الاتفاق، كما أنه خطوة جيوسياسية في الإقليم، لإثارة الوضع إفريقيًّا، لصرف النظر عن ملف سدِّ النهضة.

وقد جاء ردُّ الفعل الدولي منددًا بالاتفاق؛ فقد استنكرت مصر الصفقة، وأعلنت أنها تنتهك سيادة الصومال، خاصة وأن مصر تريد الحفاظ على استقرار المنطقة، لضمان أمن قناة السويس.[٢٢] أمَّا جيبوتي فقد وجدت أن الصفقة ستؤدّي إلى انخفاض في الترانزيت التجاري، وفقدان الرسوم السنوية، التي كانت تدفعها إثيوبيا، وهناك توتر متزايد بين جيبوتي وأرض الصومال، بسبب هذه الصفقة.[٢٣] كما رفضت إريتريا المطالبات الإثيوبية، وتأييد الصومال في هذه الصفقة، حيث تعدُّها تهديدًا محتملًا لسلامة أراضيها؛ وهذا قد يؤدّي إلى تجدّد التوتر بين إثيوبيا وإريتريا، ومن ثمّ أصبحت منطقة القرن الإفريقي مليئة بالقلق والتوتر.[٢٤]

وعلى الجانب الآخر، فقد ذكرت واشنطن -حليف مقديشو- أنَّها قلقة بشأن الاتِّفاق، الذي يهدِّد بتعكير صفو الجهود، للقضاء على الجماعات الإرهابية.[٢٥] وأمَّا الصين فقد استثمرت بكثافة في شراكة مبادرة الحزام والطريق مع جيبوتي، وفي حال تنفيذ الاتفاق، فقد تشهد خسارة كبيرة في الإيرادات، إضافةً إلى الخوف من تأثير القرارات الاقتصادية والسياسية الإثيوبية، في حال تمكن ميناء أرض الصومال في بربرة من تحقيق قدرته التنافسية في المنطقة، كما أن هناك تصريحات من مسؤولين إثيوبيين لمسؤولين أجانب، بأن إثيوبيا تدرس إلغاء خطّة الاعتراف الدولي بـإقليم أرض الصومال، نتيجة للضغوط الدولية، لتفادي أية توتّرات أو اضطرابات إقليمية، في القرن الإفريقي.[٢٦]

٥- المصالح الإيرانية في مقابل تهدئة التوترات الإقليمية

تحرص إيران على استخدام البحر الأحمر كورقة إستراتيجية مهمة؛ حيث يمكن للبحر الأحمر أن يكون بمنزلة بوابة للتجارة الدولية، و«مفتاح إفريقيا»، وطريقًا بديلًا للعقوبات على إيران، ويمكن لإيران أن تفكر في حضور أكبر في المناطق الحرة بالبحر الأحمر، والاستثمار في مجال الطاقة، والنفط، والكهرباء،

والبنية التحتية، والموانئ، وأيضًا بسبب عضوية إيران الرسمية في «البريكس»، وتعظيم النفوذ الاقتصادي في المنطقة، وتعزيز الممرّ الدولي بين الشمال والجنوب، وربطه بمصالح دول المنطقة، والتعاون المصرفي، واستخدام العملات الوطنية، والمزيد من الصادرات الإيرانية.[٢٧]

تعتمد الإستراتيجية الإيرانية على «الوكلاء»، في بعض الدول المحاذية للبحر الأحمر، كأداة رئيسة لدعم وجودها، وتأمين مصالحها في البحر الأحمر، وهو ما يتجسَّد تجسُّدًا واضحًا في اعتمادها على ميليشيا الحوثيين في اليمن، التي تشكّلت بدعم إيراني. وقد اعتمدت إيران على اليمن، باعتبارها البوابة الجنوبية لمدخل البحر الأحمر، وهو ما يمكّنها من التحكم في الممرّ الإستراتيجي المهم، كما أن اليمن تمتلك أكثر من عشرة موانئ وجزر بحرية، محورية ومهمة، وهو ما زاد من أهمية اليمن في إطار الإستراتيجية الإيرانية، تجاه البحر الأحمر؛ فمنذ الانقلاب الحوثي في اليمن، وسيطرة الميليشيا على صنعاء في عام ٢٠١٤م، تبنّت إيران مقاربة قائمة على الدعم المفتوح للحوثيين، بما يضمن زيادة قدراتهم القتالية والتسليحية، وتعزيز قدراتهم التفاوضية، في إطار المجريات السياسية للمشهد اليمني.[٢٨]

تستفيد إيران من تصعيد الحوثيين في البحر الأحمر، لأن ذلك يتيح لها تعظيم العائد على تكلفة استثمارها في اليمن، بدون تغيير حساباتها كُليًّا. كما تستفيد إيران من صعود الحوثيين كلاعب إقليمي، لأن ذلك يعزّز قدرات الردع للجمهورية الايرانية، وقدرتها على فرض أعباء على خصومها الإقليميين والدوليين؛ فإضافةً إلى مضيق هرمز، بات بإمكان إيران وحلفائها، «إرباك» حركة الملاحة في أحد أهمّ الممرّات المائية؛ مضيق باب المندب، الذي يربط خليج عدن بالبحر الأحمر، ويمرّ عبره نحو ١٢٪ من حجم التجارة البحرية العالمية. كما يسهم في إظهار جماعة الحوثيين لقدراتها كلاعب إقليمي، وتَمْتين روابطها مع حلفاء إيران الآخرين.[٢٩]

ثانيًا - تحديات تحقيق الأمن في البحر الأحمر

إن ثمّة عددًا من الإشكاليات، فيما يتعلق بتعامل الولايات المتحدة الأمريكية والدول الحليفة لها مع الحوثيين؛ أدَّت إلى عدم القدرة على السيطرة على هجمات الحوثيين في البحر الأحمر، ويمكن إرجاع ذلك إلى عدد من الأسباب على النحو الآتي:

١- **قدرة الحوثيين على تدبير الأسلحة:** تعتمد جماعة الحوثيين في تسليحها اعتمادًا أساسًا، على الأسلحة المهربة من إيران؛ فقد قالت نائبة المتحدث باسم وزارة الدفاع الأمريكية سابرينا سينغ، في مؤتمر صحفي: «نعلم أن الحوثيين يحتفظون بترسانة كبيرة، ولديهم أسلحة متطورة، وذلك لأنهم مستمرون في الحصول عليها من إيران».[٣٠] كما أنَّها تعتمد اعتمادًا رئيسًا على الجبايات والضرائب المحلية، التي تفرضها في مناطق سيطرتها، كأحد مصادر التمويل لشراء الأسلحة، جنبًا

إلى جنب، مع علاقاتها الكبيرة بالعديد من التنظيمات والميليشيات المسلحة، بالإضافة لامتلاكها القدرات المالية والتقنية، التي تمكّنها من امتلاك أسلحة محلية الصنع؛[٣١] فقد صار الحوثيون يُصنِّعون الآن بعض مكوّنات الأسلحة، ويملكون التقنيات المرتبطة بها، بدلًا من الحصول على التسليح كاملًا من خارج اليمن.[٣٢]

٢- **انفصال بين الأجندات الأمنية لمختلف الدول:** إنَّ الفشل في التصدّي لهجمات الحوثيين يرجع إلى حدٍّ كبير إلى عدم إظهار الالتزام الدولي تجاه أمن الملاحة البحرية، وهو ما ظهر في غياب ردّ فعل موحد للمجتمع الدولي، تجاه حرية العبور في الممرّات المائية، وفق المبادئ المنصوص عليها في قانون البحار، والتشريعات الدولية ذات الصلة، وهو واقع يشير إلى وجود انفصال بين الأجندات الأمنية لمختلف الدول، والإطار العام للأمن الجماعي، كما يعكس نسبية مفهوم الأمن، والتوجه نحو مواءمته مع الموقف التنافسي للدول، وتحديدًا الكبرى منها.

٣- **التصعيد مع إيران:** إنَّه سيكون من الصعب على واشنطن الحفاظ على سياسة دفاعية لوقت طويل، وضبط وتيرة النزاعات، خاصة بين ايران وإسرائيل؛ لأنّ أيّ انزلاق يحدث، فسيترتّب عليه تصعيد الصراع، مثلما حدث في ١٤ إبريل عام ٢٠٢٤م؛ فقد بادرت إيران في أول مواجهة عسكرية مباشرة بمسيّرات وصواريخ ضد إسرائيل، بعد عقود من تبادل الأدوار في حروب ظل يشنّها الجانبان، جوًّا وبرًّا وبحرًا وسيبرانيًّا، وذلك بعد أن توعَّدت إيران بالانتقام للهجوم الدموي على قنصليتها، في العاصمة السورية دمشق، وهناك مخاوف عالمية من تحوّل التوتّرات في المنطقة، والحرب بين إسرائيل وحماس، إلى مواجهات إقليمية واسعة النطاق، وغير محسوبة العواقب.

٤- **اضطرابات البيئة المحيطة بالبحر الأحمر:** فإلى جانب التهديدات الصادرة عن مناطق سيطرة الحوثيين في اليمن، نجد أن منطقة القرن الإفريقي تواجه تحدّيات ونزاعات طويلة الأجل، ومنها على سبيل المثال: التوتر الإثيوبي الإرتيري، والتوتر الإثيوبي الصومالي، والنزاع في السودان، والتي تحظى موانئها بميزة تنافسية إقليميًّا ودوليًّا، وخاصةً مع محاولات روسيا وتركيا تطويرها، وتشييد قواعدها العسكرية البحرية فيها، ومع تعثّر المحاولات لحلّ الأزمة في السودان، فإن الشواطئ السودانية على البحر الأحمر ستظلّ خواصر ضعيفة، تهدّد أمن البحر الأحمر.[٣٣]

٥- **تزايد القرصنة والاتجار غير المشروع:** يؤدّي الارتفاع الكبير في الحوادث البحرية في البحر الأحمر والمحيط الهندي، إلى خلق مساحة لتزايد حوادث القرصنة، والاتّجار غير المشروع، كما أن تحويل مسار الشحن حول بقية إفريقيا يخلق المزيد من أهداف القرصنة في أماكن أخرى، خاصة حين يتعيّن على المزيد من السفن الإبحار بالقرب من الساحل.

خاتمة

إن اشتعال الموقف في البحر الأحمر، وتأزم الوضع في منطقة الشرق الأوسط يفرضان على الدول الكبرى، ومجلس الأمن، والمنظّمات الدولية بذل مزيد من الجهود، لاحتواء المشهد، تحسّبًا للتداعيات الأمنية والاقتصادية لهذه الصراعات المشتعلة في أكثر من جبهة؛ حيث إن الانخراط نحو عسكرة البحر الأحمر قد يقود إلى تداعيات سلبية على الممرّ الملاحي الدولي، الذي أثبتت تلك الأحداث حيويته للاقتصاد العالمي؛ وهو ما يدعو إلى إمكانية التفكير مجدَّدًا في تفعيل مجلس الدول العربية والإفريقية المطلّة على البحر الأحمر وخليج عدن، وتعاون المجتمع الدولي لضمان سلامة الملاحة، وعدم انقطاع الإمدادات، ومكافحة الأنشطة الإجرامية البحرية، مثل: القرصنة، وتهريب المخدرات، والاتجار بالبشر.

ومن المتوقَّع، أنّ تزيد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها التركيز على المنظور الأمني في البحر الأحمر، بالتوازي مع التركيز على المنظور ذاته في المحيط الهندي، أو جنوب غربي آسيا في مواجهة الصين، إضافةً إلى سعيها للسيطرة على التجارة الدولية، ومكافحة الإرهاب، والقرصنة، وتهريب الأسلحة، والهجرة غير النظامية؛ حيث ترى الولايات المتحدة أنّ كلّ محاولة لوضع الصين في قلب الشبكات التجارية العالمية، تهدف في النهاية لتقويض النظام الدولي الحالي.

الهوامش والإحالات

(1) The White House, *The Biden-Harris Administration's National Security Strategy* (Washington D.C: The White House, 2022), https://www.whitehouse.gov/briefing-room/statements-releases/2022/10/12/fact-sheet-the-biden-harris-administrations-national-security-strategy/.

(2) Adnan Hashem, "Sailing Slow: Washington's Red Sea Strategy," *Abaad Studies & Research Center*, November 27, 2023, https://abaadstudies.org/en/policy-analysis/topic/60072.

(3) William Walldorf, "The Pragmatic Steps the United States Needs to Take in the Red Sea," *The Henry L. Stimson Center*, February 16, 2024, https://www.stimson.org/2024/pragmatic-steps-united-states-war-in-the-red-sea/.

(4) Zenel Garcia, "China's Belt and Road and Its Alternatives: Competing or Complementary?," *The Diplomat*, January 20, 2024, https://thediplomat.com/2024/01/chinas-belt-and-road-and-its-alternatives-competing-or-complementary/.

(5) Eman Jokhio, "Strategic Significance of Djibouti: A Geopolitical Playground for Global Powers," *Modern Diplomacy*, February 21, 2024, https://moderndiplomacy.eu/2024/02/21/strategic-significance-of-djibouti-a-geopolitical-playground-for-global-powers/.

(6) Mohamed Hassan, "US Signs Agreement to Build Bases for Elite Somali Army Force," *The Voice of America*, February 15, 2024, https://www.voanews.com/a/us-signs-agreement-to-build-bases-for-elite-somali-army-force/7489376.html.

(7) Georgia Gilroy, "The Online Frontline: Decoding al-Shabaab's Social Media Strategy," *CTC Sentinel*, 17: 1, 2024, https://ctc.westpoint.edu/the-online-frontline-decoding-al-shabaabs-social-media-strategy/.

(8) Richard Moss, "Russia Hedging Its Bets in the Red Sea (Part One)," *Norwich University*, May 15, 2024, https://www.norwich.edu/topic/all-blog-posts/russia-hedging-its-bets-red-sea-part-one.

(9) Martin Plaut, "Why are China and Russia silent players in the Red Sea's escalating security situation?," *King's College London*, January 29, 2024, https://www.kcl.ac.uk/why-are-china-and-russia-silent-players-in-the-red-seas-escalating-security-situation.

(10) "Russian Warships Enter the Red Sea," *gCaptain*, March 28, 2024, https://gcaptain.com/russian-warships-enter-the-red-sea/.

(11) Liam Karr and Matthew Gianitsos, "The Kremlin's Red Sea Ambitions in Eritrea," *Institute for the Study of War*, April 4, 2024, https://www.understandingwar.org/backgrounder/africa-file-april-4-2024-mali-and-russia-explore-mali%E2%80%99s-mineral-wealth-niger-plays.

(12) "Sudan to Solidify Military and Economic Ties with Russia, Including Red Sea Base," *Sudan Tribune*, 25 May 25, 2024, https://sudantribune.com/article286105/.

(13) "Sudan General Confirms Red Sea Base Deal with Russia, Strengthens Ties with Iran," *Dabanga*, May 29, 2024, https://www.dabangasudan.org/en/all-news/article/sudan-general-confirms-red-sea-base-deal-with-russia-strengthens-ties-with-iran.

(14) Matthew Karnitschnig, "How China Ended up Financing the Houthis' Red Sea attacks," *Politico*, March 28, 2024, https://www.politico.eu/article/china-finance-houthi-red-sea-attacks-iran-oil/.

(15) Zhao Ziwen And Jevans Nyabiage, "Why hasn't China Joined US-led Naval Force Against Houthi Rebel Attacks in Red Sea?," *South China Morning Post Publishers*, December 27, 2023, https://www.scmp.com/news/china/diplomacy/article/3246266/why-hasnt-china-joined-us-led-naval-force-against-houthi-rebel-attacks-red-sea?campaign=3246266&module=perpetual_scroll_0&pgtype=article.

(16) United Nations Security Council, S/RES/2722, *Resolutions adopted by the Security Council in 2024: Maintenance of International Peace and Security* (New York: UN, 2024), https://documents.un.org/doc/undoc/gen/n24/009/28/pdf/n2400928.pdf?token=1eKNYejwYEJthZXcJy&fe=true.

(17) “Impossible to Restore Peace to the Red Sea Via Military Means: Global Times editorial,” *Global Times*, 12 January 12, 2024, https://www.globaltimes.cn/page/202401/1305306.shtml.

(18) “UNSC has not Authorized Force Against Yemen; China Urges all Parties Concerned to Abide by International Law: China’s UN envoy,” *Global Times*, January 13, 2024, https://www.globaltimes.cn/page/202401/1305318.shtml.

(19) “Chinese FM Meets Arab League Chief on Practical Cooperation,” *China International Development Cooperation Agency*, January 16, 2024, http://en.cidca.gov.cn/2024-01/16/c_956460.htm.

(20) David Scott, “China’s Calculated Inaction In The Red Sea Crisis,” *CIMSEC*, May 6, 2024, https://cimsec.org/chinas-calculated-inaction-in-the-red-sea-crisis/.

(21) Mohamed Muse, “OP-ED: Abiy’s Actions in Somalia and the Specter of Foreign Influence,” *Shabelle Media Network*, January 3, 2024, https://shabellemedia.com/abiys-actions-in-somalia-and-the-specter-of-foreign-influence/.

(22) Zehcharias Zelalam, “Ambiguous Ethiopia’s Port Deal Fuels Uncertainty over Somaliland’s Statehood,” *Al Jazeera*, January 4, 2024, https://www.aljazeera.com/features/2024/1/4/ambiguous-ethiopia-port-deal-fuels-uncertainty-over-somaliland-statehood.

(23) Amr Emam, “Why Ethiopia’s Red Sea Ambitions Unnerve Egypt,” *Al Majalla*, January 18, 2024, https://en.majalla.com/node/308611/politics/why-ethiopias-red-sea-ambitions-unnerve-egypt.

(24) Gauri Mathur, “The Somaliland-Ethiopia Deal: Impact and Implications,” *India Council of World Affairs*, April 1, 2024, https://www.icwa.in/show_content.php?lang=1&level=3&ls_id=10714&lid=6810#_ednref18.

(25) Andres Schipani, “Somaliland president says contentious Ethiopia deal can deter Red Sea assaults,” *Financial Times*, May 26, 2024, https://www.ft.com/content/c4593986-94dd-478b-96db-ac070e99861e.

(26) Schipani, “Somaliland president says contentious Ethiopia deal can deter Red Sea assaults”.

(٢٧) فرزاد رمضاني بونيش، «ما أهمية منطقة البحر الأحمر بالنسبة لإيران؟،» The Cradle، (١٨، مارس، ٢٠٢٤م)، https://thecradle.co/arabic/articles-id/23951.

(28) Thomas Juneau, “Iran’s View of Houthi Attacks in the Red Sea: Protecting Gains and Limiting Costs,” *Sana’a Center For Strategic Studies*, April 9, 2024, https://sanaacenter.org/the-yemen-review/jan-mar-2024/22296.

(29) Kali Robinson, “Iran’s Support of the Houthis: What to Know,” *Council on Foreign Relations*, March 1, 2024, https://www.cfr.org/in-brief/irans-support-houthis-what-know.

(30) U.S. Department of Defense, *Deputy Pentagon Press Secretary Sabrina Singh Holds a Press Briefing* (Washington D.C: U.S. Department of Defense, 2024), https://www.defense.gov/News/Transcripts/Transcript/Article/3682022/deputy-pentagon-press-secretary-sabrina-singh-holds-a-press-briefing/.

(31) Robbie Gramer and Jack Detsch, “Inside the Houthis’ Stockpile of Iranian Weapons,” *Foreign Policy*, February 8, 2024, https://foreignpolicy.com/2024/02/08/yemen-houthi-iran-weapons-intelligence-report/.

(32) Jon Gambrell, “Yemen’s Houthis reported to have a hypersonic missile, possibly raising stakes in Red Sea crisis,” *The Associated Press*, March 15 2024, https://apnews.com/article/yemen-houthi-hypersonic-missile-red-sea-e2bc170ff4470712f314fbb80bf24716.

(33) “Map of the Militarization of the Red Sea and the Features of Upcoming Conflicts,” *Strategies Think tank*, January, 28, 2024, https://strategiecs.com/en/analyses/map-of-the-militarization-of-the-red-sea-and-the-features-of-upcoming-conflicts .

عرض كتاب

قراءة في كتاب
الدين والسياسة في إفريقيا

المؤلف: حمدي عبد الرحمن حسن
(قطر: منتدى العلاقات العربية والدولية، ٢٠٢٣م) ٦٨٧ صفحة.

د. إيمان عبد العظيم، مدرس العلوم السياسية بكلية الدراسات الإفريقية العليا، جامعة القاهرة، القاهرة.

يسعى هذا الكتاب الصادر نهاية عام ٢٠٢٣م لتحليل طبيعة العلاقة المتغيّرة بين الدِّين والسياسة في إفريقيا في مرحلة ما بعد الاستقلال، ويركّز على التقاليد الدينية الرئيسة الثلاث: (المسيحية، الإسلام، الأديان التقليدية)، وتتجلّى أهمّيّته في أنّه رغم كل الاهتمام بمسألة الإثنية إلَّا أنّها ليست البعد الوحيد للعمل البحثي في إفريقيا؛ فقد اكتسب الدين الكثير من الزخم كقوة سياسية في جميع أنحاء القارة.

وقد أثَّرت الخلفيّة الأكاديمية للمؤلِّف في أطروحته الفكرية؛ فهو أحد أساتذة الدراسات الإفريقية (السياسية). ولهذا، فهو من أصحاب الكتابات الثرية الجديرة بالتناول. ويمكن عرض نظرة تحليلية على هذا الكتاب وذلك على النحو الآتي:

١- رؤية العالم

يتَّضح من ثنايا الكتاب أنَّ للمؤلِّف مشروعًا فكريًّا يتمثَّل في البحث عن إطار تحليلي نظري نابع من السياق الإفريقي، والإسهام في نظرية المعرفة في العلوم السياسية بالغوص في التفاصيل المحلية للحالة الإفريقية. ولذا؛ فهو يدعو لتبنّي منظور الأصولية الحضارية الإفريقية (المركزية الإفريقية Afrocentricity) للدكتور: موليفي كيت أسانتي، الذي أشار إلى نفسه بأنّه Diopian، تأثّرًا بفكر المفكّر السياسي الشيخ: أنتا ديوب. وهنا يقع اللبس بين الـــــ Afrocentrism بمعنى منظومة عقائدية، دين، أيديولوجية، معتقدات مغلقة وجامدة و Afrocentricity؛ وهي إحدى نظريات الجامعة الإفريقية، التي تتعلّق بالجانب التعليمي والثقافي، وتقدم منهجيّة للعمل الفكري والتحليلي، وطريقة للتفكير، تسعى لمركزية القيم ووجهات النظر الإفريقية.

٢- الإطار المفاهيمي والتفسيري

ينطلق الكتاب في تحليل طبيعة العلاقة المتغيّرة بين الدِّين والسياسة في إفريقيا بالسؤال عن المفاهيم، حيث يقدّم رؤية نظريّة لمفهوم الدين، والسياسة، والسلفية، والمفاهيم ذات الصلة، ومحاولة أفرقة هذه المفاهيم ودلالاتها في السياق الإفريقي، وبها تُوصّل إلى نتيجة مفادها، أنّ المجتمعات الإفريقية التقليدية، مثلها مثل جميع المجتمعات تقريبًا حتى القرن الثامن عشر، فهي تخلط بين الدين والسياسة، وترى أن الإيمان العميق بالديانات التقليدية كفل الاستمرارية بين الأجيال؛ فقد ظلّ الأفارقة متديّنين، وكانت ثقافتهم الأصلية جزءًا من ميراثهم الثلاثي، وفي إفريقيا المعاصرة، لا يزال الدين مرتبطًا بالسياسة، وقد ظهر تسييس واضح للدين في كثير من الصراعات الإفريقية، وهو ما أدَّى للنظر إلى الدين «كمصدر تهديد» أمني، وليس وسيلة من وسائل بناء السلام في إفريقيا، اتّساقًا مع نبوءة السياسي الروائي الفرنسي: أندريه مالرو، بأن القرن الحادي والعشرين سيكون قرن الأديان، ممّا يعني إحياء تقاليد التسامح والتعصّب الديني.

٣- الإطار التحليلي

يتّسم المنهج المستخدم في الكتاب بالموضوعية، والمقارنة بين تجارب إفريقيا الناطقة بالإنجليزية، والفرنكفونية، والبرتغالية. وفي إطار حديثه عن الدين الإفريقي؛ فهو إلى حدّ كبير الحديث عن الدين في إفريقيا، رغم أن مناطق تركُّز معتنقي الديانات التقليدية الإفريقية تشمل: (إفريقيا، جاليات في أوروبا، والولايات المتحدة، والكاريبي، وأمريكا الجنوبية). ورغم اختلاطها مع الديانات المحلية لتشكيل هجين ديني، فلا يزال الدين الإفريقي التقليدي ظاهرة إفريقية في المقام الأول. أي أنَّ وحدة التحليل هي مفهوم الوحدة الجغرافية الثابتة، ولذا، فالمجال الجغرافي والثقافي لا يختلط بالمستوى العالمي.

٤- القضايا الأكثر تناولًا في الدراسة

- **يأتي في المرتبة الأولى** الجزء الثالث، الذي يشكّل محور الكتاب، ويركز على الدور السياسي للإسلام، والمسيحية، والأديان التقليدية بعد إحيائها، أو اندماجها في حركات دينية جديدة. ولعلّ ما أضافه هو إمكانية إجراء دراسة مقارنة لمفهوم «الجهاد»، لدى بعض الأيديولوجيات الدينية السياسية، وفهم توظيف الدين سياسيًّا، باعتباره تهديدًا أمنيًّا. كما تناول عودة الديانات التقليدية، من خلال تشكيلها فضاء دينيًّا هجينًا، أو من خلال حركات دينية مستقلة. عكس بعض الديانات السماوية السائدة في إفريقيا؛ إذ لا يسعى معتنقو الأديان التقليدية للتبشير، أو التحدث باسم الله، ولذا، ليس لديها تصوّر عنيف للدين. ويمكن استخدام بعض مكونات هذه الأديان، لتكون مصدرًا لصنع السلام.

- **وفي المرتبة الثانية،** يأتي التركيز على الجزء الرابع، الذي ناقش أربعة نماذج مختلفة للعلاقة بين الدين والسياسة في زامبيا، ونيجيريا، وموزمبيق، وكينيا. وحالة زامبيا، هي فريدة في السياق الإفريقي؛ حيث إنَّها الدولة الإفريقية الوحيدة، التي أعلنت في دستورها عام ١٩٩١م، أنّها مسيحية. ومع وصول حزب الجبهة الوطنية للسلطة عام ٢٠١٥م، أُعلِنت زامبيا دولة ذات هوية مسيحية مرّة أخرى، وهو ما كُرِّس في النسخة الجديدة من دستورها. وتظهر الحملات الخاصة بالانتخابات الرئاسية منذ عام ٢٠١٥م، أن خطاب الدين والسياسة أصبح ذا صلة واضحة بالعملية السياسية. وفي مقابل حالة زامبيا، تقدّم خبرة موزمبيق، خلال حكم الفريليمو في أثناء الحرب الأهلية، أنموذجًا للدولة العلمانية المعادية للدين؛ فقد حدث قمع القادة المسيحيين، واضطهادهم، واعتقالهم.

كما ناقش موضوع القبائل اليهودية المفقودة في إفريقيا، من خلال حالة اليهودية السياسية في نيجيريا؛ إذ يعتقد العديد من مجتمع الإيبو أن أسلافهم كانوا يهودًا، ولهذا تعزّز الاتصال الدولي ليهود الإيبو مع إسرائيل، واعترفت بعض الشخصيات الإسرائيلية علنًا بوجود تشابه ثقافي بين الإيبو واليهود، وأرسل رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين عام ١٩٩٥م فريقًا إلى نيجيريا، للبحث عن القبائل العشر المفقودة في إسرائيل، ومنذ ذلك الحين، أرسل حاخامات كتبًا، وأجهزة كمبيوتر، وشروحًا دينية إلى نيجيريا.

وأخيرًا، يناقش الفصل الرابع عشر الجهوية والانقسام، الذي هيمن على دور الإسلام في كينيا، رغم أنّها دولة ذات هوية علمانية، إلَّا أنّ الدين يعدّ متغيّرًا رئيسًا في السياسة والحكم؛ فمنذ الفترة الاستعمارية، برز نشاط المنظّمات الدينية، التي تقدّم خدمات التعليم والصحة. وفيما بعد الاستقلال، وُظِّف الإسلام سياسيًّا، لتحدّي هيمنة المسيحيين في الحكومة المركزية، والمؤسسات السياسية، والأحزاب. ومن المفارقات؛ وجود المحاكم الشرعية من ناحية، واستهداف الحكومة -في حربها ضد الإرهاب- المسلمين والصومال، وهو ما يعكس جدلية السياسي والديني في كينيا.

- **وجاء في المرتبة الثالثة** الجزء الأول، الذي يمثّل الإطار النظري للدراسة بثلاثة فصول، بهدف الإجابة عن تساؤل: هل الدين يعني الشيء نفسه للإفريقي، كما لغيره الأوروبي والآسيوي؟ وهل «السياسة ملعونة»؟ وما علاقاتها بالدين، فضلًا عن إفريقيا كمصطلح، وصورتها في الإعلام الغربي، ولدى صانع القرار؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات، خلص إلى أنّه لا تزال الأسئلة حول كيفية رؤية العلماء للدين، ولماذا يظلّ الدين وثيق الصلة بالسياسة في العصر الحديث، من أهم التساؤلات، نظرًا لصعود الحركات الدينية المسيَّسة، بوصفها تهديدًا لمشروع الحداثة الغربي، لأنّه يقوم على العلمنة، وفصل الدين عن الدولة.

- **وفي المرتبة الرابعة**، يأتي الحديث عن الأديان التقليدية في إفريقيا، التي تقرّ بفكرة الخالق الأعظم، وأنّه لا يمكن وصفها بالوثنية. وقد تأقلمت هذه الأديان مع الأديان الأخرى الوافدة عليها، ممَّا أدّى إلى خلق فضاء ديني هجين، يحافظ على تقاليد الآباء، ويعمل على أفرقتها، كأنّها قادرة على تجديد نفسها. وعليه، ووفقًا للتقاليد والموروثات الحضارية الإفريقية، فلم تشهد إفريقيا حروبًا دينية، ويمكن البناء على ذلك في مسألة أفرقة الظاهرة الدينية.

٥- الإشكاليات الفكرية

تتّسم الموضوعات ذات الطبيعة التاريخية والسياسية، بإيلاء مزيد من الاهتمام بالإشكاليات الفكرية، وعلى النحو الآتي:

١- **إشكالية إهمال دراسة علاقة الدين بالسياسة في مرحلة ما بعد الاستعمار:** لم تحتلَّ دراسة الأديان الإفريقية مكانة تليق بها عند علماء الأديان، أو الدراسات الإنسانية، ومرد ذلك، هو طبيعة المنظور المعرفي الغربي السائد في إفريقيا، بوصفها الآخر غير المتحضر؛ فالنظرة المتحيزة للأديان التقليدية، باعتبارها (وثنية، وبدائية، ووحشية فيتشية، وجوجو، وأرواحية، وشركية، وطوطمية، وقبلية)، لا تزال مهيمنة في الكتابات عن إفريقيا. ولكن، ذكر الكتاب أنَّ المدرسة الفرنكفونية، حقّقت بعض النجاح النسبي في فهم الظاهرة الدينية، وعلاقاتها بالسياسة في إفريقيا، بسبب تأثرها بأدبيات التاريخ، والأنثروبولوجيا، والفلسفة، والتركيز على العبادات الدينية، وتحليل الرؤى الفلسفية واللاهوتية، التي تقف وراء هذه الممارسات.

٢- **إشكالية موت الآلهة:** انتقد الكتاب أدبيات نظرية العلمنة، مؤكّدًا خطأها، لأنّها كتبت بلغة فضفاضة، تخالف الواقع المتمثّل بالآتي:

- رغم مزاعم الإلحاد بتراجع أهمّية الدّين، فإن الدين لا يتراجع في إفريقيا، مدلّلًا على ذلك بالأرقام، التي توضّح استمرار الممارسات الدينية التقليدية، وجدّية الأفارقة في التعامل مع مسألة الدين.
- تراجع الإلحاد، وعودة الدين منذ أواخر القرن العشرين، الذي شهد نموًّا ملحوظًا للوعي الديني، وارتباطه بالمجال العام، وظهور حركات دينية عابرة للحدود، في عصر المعلومات.
- فسر أسباب تصاعد دور الدين في الحياة العامة، بربطها بعوامل اقتصادية وسياسية في دول الجنوب، وتراجع جاذبية أيديولوجيا العلمانية والاشتراكية في الغرب.
- تأثير حركات الإحياء الديني، التي ربطها بتدهور مؤسّسات الحكم الرسمية والدولة في إفريقيا، والعالم كله.

٣- **إشكالية مفهوم الدولة في إفريقيا:** ورغم إدراك الكاتب التام بهذه الإشكالية، إلَّا أنّه اختتم الفصل الثاني بتحديد مفهوم السياسة، بمعنى السلطة التنظيمية، لاتخاذ قرارات ملزمة إلزامًا جماعيًّا، وتخصيص الموارد، وحل المشكلات الاجتماعية؛ أي إن محوره هو الدولة، وهو ما يتناقض مع السياق الإفريقي، وظروف نشأة الدولة.

٤- **إشكالية الفصل بين الدين والسياسة:** تاريخ تطوّر الحضارة الحديثة، اتّسم بفصل الدين عن الدولة، لتحرير البشرية من الشعوذة، والتعصّب الأعمى. ومع ذلك، فإن أحداث ١١ سبتمبر، أعادت الاعتبار، لإضفاء الطابع الأمني على الظاهرة الدينية، واعتبارها خطرًا على أركان الدولة الحديثة، ممَّا دفع بعض الكتاب للقول: إن العلاقة بين الدين والسياسة سلبية وضارّة، ينبغي تجنّبها، ممّا دفع بعض الكتاب لاستبعاد الدين من القيام بأي دور سياسي.

ولكن، أكّد الكتاب أنّه في السياق الإفريقي لا يسمح بهذا التعميم؛ فالممارسات اليومية للأفارقة، تتقاطع فيها السياسة مع الدين، ولا تزال المنظّمات الدينية هي الجهة الفاعلة غير الحكومية، الأكثر توسّعًا في إفريقيا، والأكثر تديّنًا وإيمانًا بالله في العالم، وتوفّر خدمات في حالة عجز الدولة، وعدم رغبتها، ويحظى الزعماء الدينيون بمكانة أعلى من القادة الحكوميين، وفقًا لمقياس أفروباروميتر، وليس من المستغرب أن يؤثر الدين في السياسة الإفريقية.

٥- **إشكالية الديمقراطية في إفريقيا:** تُقدِّم فلسفة أوبونتو رؤية تُعبّر عن ثقافة الزولو في الجنوب الإفريقي، حيث لا يكون الإنسان إنسانًا إلَّا من خلال الآخرين. وعندما صاغ نيريري مفهومه عن الأوجاما (الأسرة أو الجماعة)، فإنّه كان ينطلق من خلفية ثقافة الأوبونتو (إفريقيا عائلة واحدة والعالم كله أسرة ممتدّة). ولذا، فإن أحد جوانب تركيز فلسفة الأوبونتو هو التركيز الإفريقي على مسألة توافق الآراء. والثقافة التقليدية الإفريقية لديها قدرة لا نهائية من أجل تحقيق التوافق، والمصالحة. والديمقراطية الإفريقية لا تُختزل في حكم الأغلبية؛ لأنها تعمل من خلال ميكانيزمات المناقشات والحوارات، الموجهة نحو توافق الآراء.

٦ - **إشكالية الحداثة والتنمية:** مبعث السعادة في حياة البوشمن (من أقدم المجموعات العرقية والثقافية التي تعيش في إفريقيا منذ آلاف السنين)، يكمن في اختفاء مفاهيم الملكية الفردية، والشر، والقتال. ويعيشون وفقًا لنظام المشاعية البدائية، الذي تستخدم فيه جميع الموارد لصالح الجميع؛ فكل شيء أعطاه الخالق للإنسان، هو يكفي حاجته، ولا يوجد لديهم أية دوافع للصراع. ولذا، فمنتهى السعاة والتقدّم لديه يكمن في تكيّفه مع بيئته بهذا المعنى، ولا يقاس بالضرورة بمقياس الحداثة والتقدّم التقني الغربي في المجتمعات ما بعد الصناعية.

٧- ضرورة إعادة النظر في بعض الافتراضات المعرفية والنظرية، التي انطلقت من المنظور المعرفي الغربي السائد، في دراسة قضايا السياسة والحكم في إفريقيا:

- القول: إن إفريقيا قبل الاحتكاك الأوروبي لم تشهد وجود نظام اجتماعي يخضع لسلطة منظمة، هو أمر يفتقد الدقة؛ ففي المجتمعات التي لم تشهد نظام الدولة كالبوشمن، كانت تخضع لأعراف وتقاليد معينة، وكانت هناك سلطات خارجية، مثل: الاعتقاد بوجود الأرواح، والآلهة، وهي في مجملها، تمثّل ضوابط عامّة للسلوك.
- الأفارقة يميلون للعنف، قول لا يستند لدليل؛ فالأفارقة في المرحلة التقليدية قبل مجيء الأوروبيين عاشوا حياة يسيرة، تسيطر عليهم قيم الجماعية، وتغيب عنها مفاهيم الملكية الخاصة والفردية. ولم تشهد إفريقيا قبل دخول الديانات الكبرى كالمسيحية الحروبَ الدينية؛ فقد كانت الأديان الإفريقية التقليدية محلية الطابع، وأشبه بالجزر المنعزلة، ولم تستطع أي قبيلة فرض قناعتها الدينية على القبائل الأخرى.
- التضحية بالبشر في ممارسات جوجو الحديثة: هناك صعوبة في تغيير ممارسات العنف التي قُبِلت في المجتمعات المحلية لعدّة قرون؛ فتقديم البشر كقرابين، هي أسطورة، ولكن تُنوقِلت من جيل لآخر على أنّها مقبولة.

٨- إشكالية ربط العنف والإرهاب في إفريقيا بالإسلام: غلبت في الأطروحات الغربية والإفريقية فكرة ربط العنف والإرهاب في إفريقيا بالإسلام. ولهذا تناول الفصل التاسع مفهوم الجهاد المسيحي، الذي يقدم توازنًا مهمًّا، في سياق صياغة نقد متكامل وموضوعي، لظواهر ارتباط الدين بالسياسة والعنف في إفريقيا، بشموله الحركات المسيحية المتطرّفة في إفريقيا، وتقديمه نقدًا مباشرًا للتركيز المفرط، على دراسة الحركات المتطرفة والعنيفة المرتبطة بالإسلام، ودراسة تأثير الحركات المسيحية المتطرفة داخل المجتمعات الإفريقية. وقدَّم أمثلةً من محاولة انفصال إقليم بيافرا في نيجيريا عام (١٩٦٦م)، وجيش الرب للمقاومة في شمال أوغندا منذ العام ١٩٨٦م، وجماعة الأنتي بالاكا في إفريقيا الوسطى، وبعض الجماعات المسيحية المتطرفة في شرق نيجيريا، وشمال أوغندا، والتي لا تحظى باهتمام بحثي غربي لائق، مقابل التركيز على دراسات التطرّف على الحركات الإسلامية العنيفة.

٩- إشكالية صعود حركات الإسلام السياسي في القارة الإفريقية: عوامل عدّة تقف وراء صعود حركات الإسلام السياسي السني والشيعي في إفريقيا، ويظهر ذلك في التجربة النيجيرية نفسها، قبل نحو قرن كامل، وكذلك في التجربة السودانية في مواجهة الاستعمار الإنجليزي، منذ نهاية

القرن التاسع عشر، وفي حالة داعش وسط إفريقيا، بجمهورية الكونجو الديمقراطية، وتأثرها بتيّار التبليغ. والثورة الإيرانية هي أحد العوامل الرئيسة أيضًا؛ حيث إن صعود حركات الإسلام السياسي يرجع إلى النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين. ولذا، فإن الصياغة الأكثر دقّة يمكن أن تكون كالتالي: ارتبط صعود حركات الإسلام السياسي – ضمن عوامل أخرى – بالثورة الإيرانية.

١٠- **اعتناق ممثلي الطبقات التجارية البراغماتية أولًا الإسلام، «ممّا سهّل عليهم البحث عن شركاء تجاريين من بين المسلمين»، خلال الفترة من القرن الثامن عشر حتى القرن العشرين، وعبر «مسارات الطرق التجارية في المناطق الداخلية»:** وهي رؤية تبنّاها بعض المؤرخين والباحثين الغربيين، وكان هدفهم، إثبات أن اعتناق الإسلام جاء لتلبية الحاجة إلى المشاركة في النشاط التجاري، والاستفادة منه، أي إنّهم أسلموا دون قناعة بالمعتقد، بدافع المكاسب الاقتصادية، وهذا غير صحيح، بل الواقع هو أن التجار المسلمين انتشروا عبر الطرق التجارية في إفريقيا، منذ فترات بعيدة، ترجع للقرن الثاني الهجري الثامن الميلادي، ومارسوا التجارة دون قيود مع الأفارقة. وهناك وحدات سياسية أسلم أهلها طواعية، وبقي حكّامها لفترات طويلة دون اعتناق الإسلام، وفي بعض الوحدات حدث العكس، أسلم الحكام ثم تبعهم الرعية. وفي كل الأحوال، كان النشاط التجاري مزدهرًا، بل إن حاكم مملكة غانا مثلًا، لم يعتنق الإسلام، ورغم ذلك اعتمد على التجار المسلمين في شؤون الحكم والإدارة، فكان أكثر وزرائه من المسلمين.

٦- الرؤية المستقبلية

اتَّفق الكتاب مع الجهود الإفريقية، الممثّلة في مؤتمر الأديان الإفريقية التقليدية في إفريقيا المعاصرة عام ١٩٨٧م، بنيروبي – كينيا، وأن الديانات الإفريقية يمكن أن تساهم في تحقيق الاستقرار التنموي، وتستحقّ أن تفهم. ويدعو الكتاب لتجنّب الانحيازات الفكرية المضلّلة، حول دراسة الأديان التقليدية في إفريقيا، بثلاثة مقترحات:

١- تبنّي منظور الأصالة الحضارية الإفريقية في دراسة الدين الإفريقي، اعتمادًا على المصادر الأولية، والمصادر الشفوية، والملاحظة المباشرة، للممارسين الدينيين الأفارقة.

٢- عدم التحيّز المسبق المرتبط بإفريقيا، للتمكّن من استنتاجات غير متحيّزة.

٣- الإتيان بمصطلحات إفريقية خاصة، وإنتاج موسوعات مثل: موسوعة الدين الإفريقي عام ٢٠٠٨م.

نبَّه الكتاب إلى رجحان أن تمثّل «الصراعات القائمة على خطوط التماس الدينية» القضية الأكثر اشتعالًا في العقد المقبل. ولهذا، يدعو إلى أفرقة نموذج الدولة العلمانية. كلّما زاد تديُّن الناس كما في إفريقيا فقد ازدادت الحاجة لنظام دولة علماني، لا ينكر تديّن الأفارقة أو يعارضه، بل يسعى للتوسّط في صراع قيمي وهوياتي محتمل. ولكن هذا النظام، لا يمكن الوصول إليه، إلَّا عبر آليات التفاوض والتوافق في الرأي، وليس عبر النظام العلماني الكلاسيكي، الذي يفصل فصلًا كاملًا بين الدين والدولة. وهو ما يؤكد أهمّية تبنّي منهج الأصولية الحضارية الإفريقية، وما يحمله من الخصوصية الثقافية والحضارية للشعوب الإفريقية، الرافضة للحلول المستوردة من الخارج.

ينادي أيضًا بمنظور: ما بعد العلمانية في إفريقيا، والذي يسمح بالتعبير عن الهويات الدينية جهرًا، مع خضوعها للرقابة التنظيمية والمؤسّسية من قبل الدولة، منعًا للعنف والصدام. وهنا يثبِّت النظام آليات الحوار والمصالحة، وفي الوقت نفسه، يقوم بوظائفه التوزيعية، حتى لا يصبح الدين ملاذًا آمنًا للمهمّشين، والمستبعدين من العملية السياسية. فالارتباط بين الدين والسياسة في إفريقيا حقيقة واقعة، يعزّزها الشعور بالتهميش والاغتراب. وعليه، أضحى الدين يشكّل فضاء آمنًا، يلوذ به من هم في السلطة، لتأمين بقائهم فيها، أو من هم خارج السلطة سعيًا إليها.

وخلاصة القول: إن الكتاب بمنزِلة مساهمة علميّة عربيّة جادّة، تؤمن بالمنظور الحضاري الإفريقي في المعرفة، وتسعى لتصحيح الصورة، والتخلّص من الأنماط الجامدة، والبحث عن حقيقة وأصل التاريخ والحضارة في إفريقيا. وتكمن أهمية المنظور الإفريقي بتحليل الظواهر المتعلّقة بإفريقيا، بوضْع الأفارقة في موضع المركز، أو الفاعلين الرئيسين. ولا يمكن فهم الظواهر الإفريقية، دون الأخذ في الحُسبان وجهة النظر الإفريقية. فضلًا عن أن فرض معايير غربية على الثقافة الإفريقية لن يؤدّي لتحليل دقيق، ولذا، فمهمٌّ وضروريٌّ فهم الظواهر الإفريقية من منظور إفريقي، بعيدًا عن النظرة الأحادية التي تفرض معايير خارجية. ورغم أهمية هذا المنظور، إلَّا أنَّه يواجه تحدّيات عدّة عند تطبيقه: مثل: (نقص الموارد والمواد التعليمية، التي تتبنى منظور المركزية الإفريقية، المقاومة من المؤسسات التعليمية؛ بسبب الصعوبة في تغيير المناهج الدراسية التقليدية). ورغم التحديات، إلَّا أنَّه منهج تعليمي واعد، يمكن أن يساعد الطلاب الأفارقة على تحقيق النجاح في الحياة.

وأخيرًا، فإن المركزية الإفريقية لا تروج لفكرة معيّنة باعتبارها عالميَّة؛ فهي تركّز على السياق الثقافي عمومًا، وهذا ينطبق على جميع الثقافات في العالم، وليس الثقافات الإفريقية فقط، واستبعاد وجهات النظر الإفريقية يمنع الفهم الكامل للبشرية؛ ولذا، تدافع عن وجهات النظر الإفريقية، وتعمّق النظر في السياق الثقافي لفهم أعمق لثقافات العالم وتاريخه.